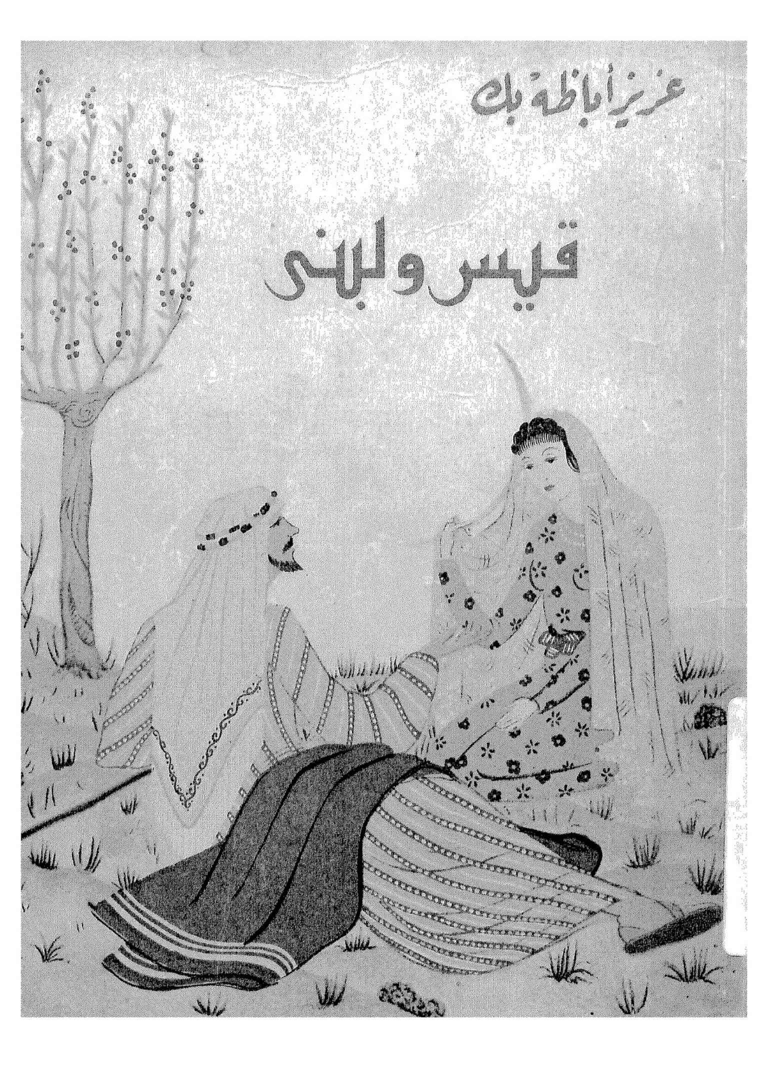

عزيز أباظة بك
قيس ولبنى

من صحف البادية

قيس ولبنى

عزيز أباظة بك

طبعت هذه المسرحية على نفقة الفرقة المصرية
للتمثيل والموسيقى وسيوزع كل حصيلة الربح
من بيعها على وجوه البر التى يتفق المؤلف
وإدارة الفرقة على تحديدها

الإهداء

إلى من أرسم جواب

أشخاص القصة

الرجال :

قيس بن ذريح	شاعر بالمدينة ومن سراتها ، عاشق لبنى ثم زوجها
ذريح	والد قيس
الحباب	والد لبنى
ابن حزم	من كبراء المدينة المنورة ، وهواه مع أهل البيت
مالك	من فتيان بنى كعب ، وابن عم لبنى ، ويحبها
طارق	من فتيان بنى كعب
مطيع	من فتيان بنى كعب ، ويحب عزة
عبد الله بن أبي عتيق	صديق لقيس بن ذريح ، ورسول الحسين بن على
العراف	طبيب بالمدينة
عامر	فتيان من ليث بن بكر ، وابنا عم لقيس
أشجع	فتيان من ليث بن بكر ، وابنا عم لقيس
قيس بن الملوح	مجنون بنى عامر
زياد بن كعب بن مزاحم	ابن عم المجنون ورفيقه
كثير بن الصلت	الزوج الثانى للبنى
ابن وهب	ابنا عم كثير بن الصلت
الحارث	ابنا عم كثير بن الصلت

النساء :

لبنى بنت الحباب	محبوبة قيس ثم زوجته
أم قيس بن ذريح	
عزة	صديقة للبنى ، ومن قرابتها
عاتكة	قريبة لقيس بن ذريح

مسرحية

قيس ولبنى

مثلتها

الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى

لأول مرة على مسرح الأوبرا الملكية يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، بالتوزيع الآتى :

أشخاص المسرحية	الممثلون :
قيس بن ذريح	أحمد علام
ذريح	منسى فهمى
الحباب	عباس فارس
مطيع	مختار عثمان
كثير بن الصلت	زكى رستم ......
مالك	سراج منير ......
ابن أبى عتيق	عبد العزيز خليل
قيس بن الملوح	على رشدى ....
العراف	فؤاد فهيم ....
أشجع	يحيى شاهين ....
عامر	عباس يونس
ابن وهب ..	سعيد خليل
طارق	محمود اسماعيل

زياد	شفيق نور الدين
الحارث	حسن اسماعيل
ابن حزم	عبد العزيز الجاهلى
الخادم	محمد فؤاد شهرزاد

حضرات السيدات والآنسات

لبنى	فردوس حسن
أم قيس	نجمة ابراهيم
عزة	زوزو نبيل
عاتكة	كريمة عبد العزيز

الملقن	حسن شلبى
الحادى	كارم محمود
المنظمات	ادمون توما على هلالى

إخراج الأستاذ : فتوح نشاطى

تعريف بالقصة

بقلم الامام أبى الفرج الأصبهانى (١)

صاحب الأغانى

هو : قيس بن ذريح بن ليث بن بكر بن عبد مناة . وأمه بنت الداهل بن عامر الخزاعى . وكان رضيع الحسين بن على رضى الله عنهما . أرضعته أم قيس .

قال أبو الفرج : [وقالوا جميعاً ـ يقصد رواة عددهم ـ] كان منزل قومه فى ظاهر المدينة ، أو فى « سَرِف » . فمر قيس ، لبعض حاجته ، بخيام بنى كعب بن خزاعة ، فوقف على خيمة منها ، والحى خُلوف ، والخيمة : خيمة لبنى بنت الحباب الكلبية . . فاستسقى ماء ، فسقته ، وخرجت إليه به . وكانت امرأة مديدة القامة ، شهلاء(١) ، حلوة المنظر والكلام . فلما رآها وقعت فى نفسه ، فقالت له : « أتنزل فتبترد عندنا » . . قال : « نعم » . . فنزل بهم ، وجاء أبوها فنحر له وأكرمه . . فانصرف قيس ، وفى قلبه ، من لبنى ، حر لا يطفأ . .

---

(١) هذه مقتبسات من كلام أبى الفرج وردت بنصها ولكن على غير هذا الترتيب .

(٢) الشَّهَلُ : نوع من الحسن فى العينين .

فجعل ينطق بالشعر فيها ، حتى شاع ورُوى . . ثم أتاها يوماً آخر ، وقد اشتد وجده بها . . فسلم ، فظهرت له وتحفّت به . فشكا إليها مايجد بها ، وشكت إليه مثل ذلك ، فأطالت . . وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه . . فانصرف قيس إلى أبيه ، وأعلمه حاله ، وسأله أن يزوجه إياها . فأبى عليه ، وقال : « يابنى ، عليك بإحدى بنات عمك ، فهن أحق بك » . وكان ذريح كثير المال موسراً ، فأحب ألا يخرج إلى غريبة . . فانصرف قيس ، وقد ساءه ماخاطبه أبوه به ، فأتى إلى أمه فشكا ذلك إليها ، واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحب . فأتى الحسين بن على بن أبى طالب ، وابن أبى عتيق ، فشكا إليهما ما به ، وما رد عليه أبوه . فقال له الحسين : « أنا أكفيك » . فمشى معه إلى أبى لبنى ، فلما بصر به ، أعظمه ، وقال : « ياابن رسول الله ، ماجاء بك ، ألا(١) بعثت إلىّ فأتيتك » . قال : « إن الذى جئت فيه يوجب قصدك ، وقد جئتك خاطباً ابنتك لبنى لقيس بن ذريح » فقال : « يا ابن رسول الله ، ما كنا لنعصى لك أمراً ، وما بنا رغبة عن الفتى ، ولكنّ أحبَّ الأمر علينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا ، وأن يكون ذلك عن أمره ، فإنا نخاف إن لم يسع أبوه فى هذا أن يكون عاراً وسبة علينا » . . فأتى الحسين رضى الله عنه ذريحا وقومه

(١) ألّا : للتحضيض ، مثل هلّا .

وهم مجتمعون ، فقال لذريح : « أقسمت عليك إلا خطبت لبنى لابنك قيس » . قال : « السمع والطاعة لأمرك » . . فخرج معه فى وجوه من قومه ، حتى أتوا لُبنى ، فخطبها ذريح على ابنه إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وزفت إليه بعد ذلك . . فأقامت معه مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئاً . وكان قيس أبرّ الناس بأمه ، فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك . فوجدت أمه فى نفسها وقالت : « لقد شغلت هذه المرأة ابنى عن برّى » ولم تر للكلام فى ذلك موضعا . حتى مرض قيس مرضاً شديداً . فلما برأ من علته ، قالت أمه لأبيه : « لقد خشيت أن نفجع فى قيس ، وما يترك خلفا ، وقد حرم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذو مال ، فيصير مالك إلى الكلالة[1] ، فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً » . وألحت عليه فى ذلك ، فأمهل ذريح قيساً حتى إذا اجتمع قومه ، دعاه ، وقال : « ياقيس ، إنك اعتللت هذه العلة وخفت عليك ولا ولد لك ، ولا لى سواك ، وهذه المرأة ليست بولود ، فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله يهب لك ولداً تقر به عينك وأعيننا » . فقال قيس : « لست متزوجاً غيرها أبدا » . فقال له أبوه : « فإن فى مالى سعة ، فتَسَرَّ بالإماء ! » . قال : « ولا أسوءها بشىء والله أبداً » . فقال أبوه : « فإنى أقسم عليك إلا طلقتها » . فأبى وقال :

(١) الذى يورث كلالة ، هو الذى يرثه غير بنيه وغير أبويه .

« الموت والله عليّ أسهل من ذلك » قال أبوه : « لا أرضى أو تطلقها » وحلف : لايكنه سقف بيت أبدا ، حتى يطلق لبنى . . فكان يخرج فيقف فى حر الشمس ، ويجىء قيس فيقف إلى جنبه فيظله بردائه ويَصلى هو بحرّ الشمس حتى يفىء الفىء فينصرف عنه ، ويدخل إلى لبنى فيعانقها وتعانقه ، ويبكى وتبكى معه . فيقال إنه مكث كذلك سَنة حتى طلقها .

قال أبو الفرج : قال الحسين بن على رضى الله عنهما لذريح أبى قيس : أحل لك أن فرقت بين قيس ولبنى ، أما إنى سمعت عمر بن الخطاب يقول : ما أبالى أفرقت بين الرجل وامرأته أو مشيت إليهما بالسيف .

قالوا : فلما بانت لبنى بالطلاق ، لم يلبث قيس حتى استطير عقله وذهب به . ولحقه مثل الجنون ، وتذكر لبنى وحالها معه ، فأسف وجعل يبكى وينشِج أحر نشيج . وأرسلت لبنى إلى أبيها ليحتملها . وقيل : بل أقامت حتى انقضت عدتها . وأقبل أبوها بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها . فلما رأى ذلك قيس أقبل ليلم بخباء لبنى ويسألها عن رحيلها ، فمنعه قومها ، فأقبلت عليه امرأة من قومه ، فقالت له : « ويحك تسأل كأنك جاهل ، أو تتجاهل ، هذه لبنى ترتحل الليلة أو غداً » . فسقط مغشياً عليه لايعقل . . قال أبو الفرج : قالوا : فلما ارتحل قومها ، اتبعها مليا ، ثم علم أن أباها سيمنعه ، فوقف ينظر إليها ويبكى حتى غابوا ، فكر راجعاً ونظر إلى خف بعيرها ، فأكب

عليه يقبله ، ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمهـا .

فلمـا جن الليل وانفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار وجعل يتململ فيه تململ السليم(١) . ثم وثب حتى أتى موضع خبائهـا ، فجعل يتمرغ فيه ويبكى ويقول :

بت والهم يالبيْنى ضجيعى   وجرت مذ نأيت عنى دموعى
وتنفست إذ ذكرتك حتى   زالت اليوم عن فؤادى ضلوعى
يالبيْنى فدتك نفسى وأهلى   هل لدهر مضى لنا من رجوع

وقالوا : وجعل قيس يعاتب نفسه فى طاعته أباه فى طلاق لبنى ، ويقول لنفسه : « فألا(٢) رحلت بها عن بلده ، فلم أر مايفعل ولم يرنى ، فكان إذا فقدنى أقلع عمـا يفعله ، وإذا فقدته لم أتحرج من فعـله . وماكان علىّ ، لو اعتزلته ، فاقمت فى حيها أو فى بعض بوادى العرب أو عصيته ، فلم أطعه . هذه جنايتى على نفسى ، فلا لوم على أحد » .

وكلما قرّع نفسه وأنّبها بلون من التأنيب بكى أحر بكاء ، وألصق خده بالأرض .

وقالوا : فلما طال على قيس ما به ، أشار قومه على أبيه أن يزوجه امرأة جميلة فلعله يسلو بها عن لبنى ، فدعاه إلى ذلك ، فأبى . فأقسم عليـه أبوه أن يسير ويتنقل فى أحيـاء العرب ، فلعـل عينه تقع على

(١) السليم : الملدوغ . (٢) أى فهلا .

امرأة تعجبه . ففعل حتى نزل بحى من فزارة فرأى جارية حسناء قد حسرت برقع خز عن وجهها وهى كالبدر ليلة تمامه ، فقال لهـا : « ما اسمك ؟ » . قالت : « لبنى » . فسقط على وجهه مغشياً عليه . فارتاعت لمـا عراه ، وقالت : « إن لم يكن هذا قيس بن ذريح ، إنه لمجنون ! » . ثم أقبل أخ لهـا ، فعرض عليه الصهر ، فقـال له : « ياهذا ، إن فيك لرغبة ، ولكنى فى شغل ، لاينتفع بى معه » . . فلم يزل يعاوده حتى أجابه . وشخص قيس إلى أبيه وساق إليهم المهر . ثم رجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته ، فلم يروه هش إليها ، ولا دنا منها ، ولا خاطبها بحرف ، ولا نظر إليها . وأقام على ذلك أياماً كثيرة ، ثم خرج إلى قومه بالمدينة فأخبره صديق له من الأنصار أن نبأ زواجه بلغ لبنى ، فغمها ، وقالت : « إنه لغدار ، ولقد كنت أمتنع عن إجابة قومى إلى التزويج ، فأنا الآن أجيبهم » . . وقد كان أبوها شكا قيساً إلى معاوية ، وأعلمه تعرضه لها بعد الطلاق ، فكتب إلى مروان بن الحكم ، أو سعيد بن العاص ، يهدر دمه إن تعرّض لها ، وأمر أباها أن يزوجها رجلا من آل كثير بن الصلت الكندى حليف قريش .

وقالوا : إن قيساً اقتطع قطعة من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتار لأهله بثمنها ، فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى ، فعاتبه ،

وزجره عن ذلك ، فلم يقبل منه . وأخذ إبله فأتى بها المدينة ، فبينا هو يعرضها ، إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها ، وهما لايتعارفان ، فباعه إياها . فقال له : « إذا كان غد فأتنى فى دار كثير بن الصلت ، فاقبض الثمن » . . قال : « نعم » . . ومضى زوج لبنى إليها وقال لها : « إنى ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية ، وهو يأتينا غدا ، فأعدى له طعاماً » . ففعلت . . فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم : « قولى ، لسيدك ، صاحب الناقة بالباب » . فعرفت لبنى نغمته ، فلم تقل شيئاً . فقال زوجها للخادم : « قولى له : ادخل » . . فدخل . . وكشفت لبنى عن حجابها ، فبهت قيس ساعة لايتكلم ، ثم انفجر باكياً ، ونهض فخرج . فدسّت له لبنى بعد خروجه رسولا يسأله : « لِمَ تزوج بعدها ! » . فحلف له قيس : أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التى تزوجها ، وأنه لو رآها فى نسوة ماعرفها ، وأنه ما مدّ إليها يده ، ولا كلمها ، ولا كشف لها عن ثوب .

وشهر أمر قيس بالمدينة بعد لقائه لبنى ، وغنى فى شعره : الغريض ، ومعبد ، ومالك . فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس مما به . وجاء لبنى زوجُها ، فأنّبها على ذلك . فغضبت وقالت : « لقد علمت أنى كنت زوجته قبلك ، وأنه أكره على طلاق والله ماقبلت التزويج حتى أهدر دمه ، إن ألمّ بحيّنا » .

قالوا : وارتحل قيس إلى معاوية ، فدخل إلى يزيد ، فشكا ما به وامتدحه . فرق له وقال : « سل ما شئت » . فقال : « أحب أن أقيم بحيث تقيم فى البلاد ، أتعرف أخبارها ، واقنع بذلك من غير أن يهدر دمى ! » . فأجابه إلى ذلك ، وأزال ما كان كتب به أبوه فى إهدار دمه .

قال أبو الفرج : قالوا : وقد اختلف فى آخر أمر قيس ولبنى ، فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما . وذكر آخرون : أن عبد الله بن أبى عتيق سار إلى الحسن والحسين ، ابنى على ، وعبد الله ابن جعفر رضى الله عنهم ، وجماعة من قريش ، فقال لهم : « إن لى حاجة إلى رجل أخشى أن يردنى فيها ، وإنى أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه » . قالوا : « ذلك مبتذل لك » . . فاجتمعوا فى يوم وعدهم فيه . فمضى بهم إلى زوج لبنى . فلما رآهم أعظم مسيرهم إليه وأكبره فقالوا له : قد جئناك بأجمعنا فى حاجة لابن أبى عتيق . . فقال : هى مقضية ، كائنة ما كانت . قال ابن أبى عتيق : قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل ؟ . قال : نعم . . قال : تهب لهم ، ولى لبنى زوجتك ، وتطلقها ؟ . . فقعل . . فاستحيا القوم واعتذروا . وبقيت لبنى عنده حتى انقضت عدتها . . ثم سأل هؤلاء القوم أباها فزوجها قيسا . . فلم تزل عنده حتى ماتا . . .

مقدمة

للكاتب العبقرى والشاعر الكبير

عباس محمود العقاد

حبّب إلىّ تقديم هذه الرواية النفيسة أنها جلت في الأدب العربى الحديث حقيقتين لا تزالان أبداً فى حاجة إلى جلاء ، وأنها قد جلت هاتين الحقيقتين ببرهان الواقع الذى لا تعمّل فيه ، أو كما يقول المتصوّفة بالبرهان « اللدنى » الذى لا محل فيه لتدبير من الإنسان .

« أُولى » هاتين الحقيقتين أن الفضل يُعرف لصاحبه ولو لم يجهد جهده للتنويه به والدعوة إليه ، وأن القدرة الصادقة لا تخفى على المنصفين وإن لم يشغلها السعى إلى الانصاف ، فهى بالغةٌ منه ماهى أهله بسلطان الحق الذى لا يعلوه سلطان .

فالأستاذ عزيز أباظة بك مؤلف « قيس ولبنى » لو قضى عشرين سنة فى السعى إلى المكانة الأدبية التى يعرفها له الأدب العربى الآن لما كان ذلك بالكثير على تلك المكانة ، لأنه باتفاق الجلّة من العارفين شاعر من شعراء الطبقة الأولى فى اللسان العربى ، ومؤلف من مؤلفى القصص التمثيلى المعدودين فى هذا الزمان .

وتلك منزلة رفيعة لا يكثر عليها أن تدرك فى عشرين سنة ، أو فيما يربى على العشرين .

ولكن الأستاذ عزيزاً لم يعرف بهذه المنزلة فى عشرين سنة ، ولا فى عشر ، ولا فيما دون ذلك من سنين ، بل عرف بها فى أسابيع قلائل بغير مكابرة من أحد ولا رغبة فى المكابرة ممن يستطيعها ويهواها . لأنه عنى بالجوهر الأصيل ولم يعن بالغرض المضاف ، أو هو قد اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير ، فلما واتته القدرة طائعة تكفلت له وحدها بالتقدير الذى لم يتطلبه ولم يضيع فيه وقته .

ولقد صح فى شاعرنا المهذب ماصح فى لورد بيرون حيث كان يقول : « نهضت من فراشى ذات صباح فألفيتنى مشهوراً » . . . فلم يعرف الراصدون هذا الكوكب إلا وهو فى برجه الأسنى قد جاوز جانبى الافق وأصعد فى سمت السماء .

ويخطىء جداً من يحسب أن الرتبة الاجتماعية ، أو الرتبة الرسمية ، هى التى أتاحت للأستاذ عزيز بك هذه المكانة الأدبية ، فإن الناس أضن بسمعة الأدب من أن يرضخوا عنها لرتبة اجتماعية وإن كرمت ، أو لرتبة رسمية وإن عظمت ، وقد رأينا فى جميع العصور وزراء ينسقون الشعر أو ينمقون النثر فلا يبلغون من الحظ فى كليهما إلا أن يتندر الظرفاء بما نظموا ونثروا فى سياق التفكه والمحاكاة ، ومن النقاد من

أطلق القول حتى فى شعر الملوك المولعين بالنظم كما قال أبو على البصير :

سمعت بأشعار الملوك فكلها إذا عض متنيه الثِّقاف تأوّدا

فلم تكن الرتبة الاجتماعية قط سبيلا إلى اختلاس قيمة فنية أو انتزاع إعجاب أدبى لاتدعمه قدرة صحيحة ، بل ربما كانت أحياناً من دواعى الاستغراب الذى يكبح عنان الإعجاب .

* * *

أما الحقيقة الثانية التى جلتها رواية « قيس ولبنى » فهى صلاح العربية الفصحى للمسرح الحديث واستطاعة النظارة من جميع الطبقات أن يفقهوا معناها ويُشربوا مزاجها وينتقلوا إلى جوها ويستجيبوا لعباراتها فى مواقف الجد أو الدعابة ، وفى معارض اللهو أو الأسى ، وعلى سنن الأخلاق والعادات التى باعدت بين عصرنا وعصرها ولا سيما فى عهد هذه الرواية .

فقد حضرنا تمثيل « قيس ولبنى » ورأينا كثيراً من الفضلاء يحضرونه فرأينا الوشائج الوثق بين النظارة وأبطالها على اتصال دائم لاينقطع هنيهة صغيرة من أجل كلمة غريبة أو عبارة بليغة ، وسمعنا الضحك فى مواقف الضحك من الشرفات العليا كما سمعناه من المقاصير الفاخرة ، وسمعنا النشيج فى مواقف النشيج من هؤلاء كما سمعناه من هؤلاء ، ولم يكن كل النشيج من جوانب السيدات والأوانس ، ولا كان كله من جوانب المثاليين والخياليين الذين يؤمنون بالعاطفة على هوى العشاق العذريين ،

بل بدرت الدموع إلى عيون فتيان العصر وفتياته ، وإنهم لأول من يسخر بالوفاء « العذرى » القديم ، لولا غالب من سحر الأسلوب وسحر البيئة التى احتوتهم وأفلح الأسلوب فى تحضيرهم لها أو تحضيرها لهم ، وهم يتعمدون مطاوعتها أو لايتعمدون .

فأياً كانت الأسباب التى ينتحلها المتحللون للغة الفصحى على المسرح الحديث فليدعوا إذن سبباً واحداً لاشك فى بطلانه ، وهو انقطاع الصلة بينها وبين النظارة من الخاصة المثقفين أو عامة المستمعين ، وآية ذلك « قيس ولبنى » غير مراء .

* * *

فى هاتين الحقيقتين وحدهما شفيع لكل رواية وكل كتاب ، لأنهما حقيقتان تفوقان مغزى كثير من الروايات والكتب التى تراد لتقريب بعض الحقائق والآراء .

لكنّ الرواية — بمعزل عن هذا كله — تحفة أدبية نادرة فى الأدب العربى الحديث ، سواء من ناحية الأداء أو من ناحية التعبير والتمثيل .

هى نموذج من نماذج الجزالة والعذوبة وصحة التركيب فى الشعر العربى على اختلاف أغراضه وأوزانه . ويقل فى أساليب العصور كافة من يستوى له هذا النسق فى كتاب كامل كما استوى لعزيز بك نسقه المتين فى رواية « قيس ولبنى » من ألفها إلى يائها ، ومن أهازيجها الخفيفة إلى

بحورها المديدة ، على اختلاف المعانى والأغراض .

ولست أعرض هنا للأداء التمثيلى من حيث عدد الفصول وترتيب المناظر وتوزيع الأدوار ، فهذا مجال النقد المسرحى الذى يتولاه المخرجون ومن يعنون بشؤون الإخراج .

ولكننى أعنى بالأداء التمثيلى قدرة المؤلف على « إحياء » الخبر المكتوب فى أشخاص الممثلين ، بإيقاعه موقع العمل المحسوس الذى نعهده ونمتزج به فى ساعة العيش صباح مساء .

فتطليق قيس للبنى خبر منفّر — يتلقاه السامع بالنفرة — بل الحيرة — إذا كان قصاراه أن يعلم أن قيساً طلق لبناه مستجيباً لإغراء أمه وأبيه ، ولكنه يفهم ويحس العذر فيه إذا رأى قيساً مستهدفاً — بحيث أهدفه المؤلف — لطغيان البواعث النفسية التى تتجمع حوله وتتضارب فى سريرته وتمتحن صبره وحبه ، وتريك وأنت تشهده وتتعقبه أنه امتحان عسير ، وأنه لاغرابة بعده أن ينتهى بالطلاق .

وعتاب قيس ولبنى يوم تلاقيا بعد الطلاق عتاب لانقص فيه ولا زيادة ، وكذلك تهيئة الزوج « كثير » لسماع المقترح الغريب وجواب لبنى عليه ، وكذلك كل خبر فى القصة يطلب من المؤلف أن يحييه لنا ويرده أعمالا وأقوالا مشهودة مسموعة أمامنا ، قد أحياه وقد رده فأحسن وأجاد فى غير تقصير ولا إغراق .

ولست أرى غضاضة على مؤلفنا أن يتجنب المأساة فى ختام روايته إذا لم يكن من قصده هو أن يكتب مأساة وإن خالف التاريخ أو آثر القول الضعيف من أقواله ، فليس حتما لزاماً على كل مؤلف أن يختم مواقفه بمأساة ، وليس حتما لزاماً على كل مؤلف أن يتجنب الختام السعيد إذا تمهد سبيل هذا الختام . إنما الحتم اللزام على المؤلفين جميعاً أن يختاروا الموقف ويصدقوا فى عرضه والتعبير عنه ويجمعوا إلى بلاغة الصدق جمال الأداء ، وتلك غاية نهنىء المؤلف الفاضل ببلوغها ونستزيده منها ، ونحسبه مديناً للأدب العربى بإنجازها على مقدار ماعنده من ضمان هذا الدين الشريف ، ولا ضمان هنا ألزم ولا أكرم من قدرة الإنجاز . . .

عباس محمود العقاد

الفصل الأول

المشهد الأول

(خيام بنى كعب بضواحى المدينة المنورة . فناء رحب)
(أمام الخيام . فى موضع منه : لبنى وعزة تتحادثان)

لبنى : يا عزُّ ماأنباءُ يثربَ حدّثى
عنها وقولى ماعَرَفْتِ أو اكْذِبى
لم نْدرِ ماصنع الزمانُ بيثربِ
يا عـــزُّ

عزة : ضاحكة
بل قولى بساكنِ يثربِ

لبنى : ماكانَ أهونَنَـا عليه فى مدى
شهرينِ لم يُلْمِم ولم يتأوّبِ (١)
قد طال منـــه تباعدٌ وتجنبٌ
أَفديهِ من مُتباعدٍ مُتجنبِ

(١) الالمام : الزيارة غبا ، والتأوب : الزيارة فى الليل خاصة

عزة : لُبْنَى عَرَفْتِ غرامَه ووفاءه

وعلمتِ أيَّ مُنًى يرومُ ومطلبِ ؟

أهلوكِمُا ظلموا ولم يتورَّعوا

بُعداً لهم من حاضرين وغُيَّبِ

أبواه قد أبيا عليه رجاءهُ(١)

وأبوكِ لاقاهُ بوجهٍ مُجْدِبِ

لبنى : يا عزُّ فلنسألْ لقَوْمِنا الهدى

واحيرتاهُ من أبيه ومن أبي

أصبحتُ أبْرَمُ بالحياةِ فما أرى

غيرَ المكارهِ والجُدود(٢) الخُيَّبِ

عزة : ما ضرَّ قيساً والحياةُ شفاعةٌ

لو قد تشفَّع بالحُسينِ ابنِ النبي

إن الحسينَ رضيعُ ثَدْيَيْ أمه

ما إنْ يُرى لرجائه بمُخَيِّبِ

---

(١) الرجاء : الأمل (٢) الجدود : الحظوظ .

قد كانَ هذا رأيَ قيسٍ ليتَـه

لم ينـأْ عن تدبيرِه أو يَعزُبِ[1]

لبنى : ياعزُّ قد كان يُجدى ماذهبتِ له

لو لم تكُنْ كُبَرُ الأحداثِ تندلعُ

تَدْرين أن أميرَ المؤمنين[2] مضى

يدعو إلى بَيْعـــةٍ جُلَّى ويَجتمعُ

أهابَ بالناسِ فى الأمصارِ فانبعثت

وُلاتُهـا يدفعونَ الناسَ فاندفعوا

فما يزيدُ[3] بكُفء للذى عقدوا

لهُ ، وما هو أهلٌ للذى شرعوا

إن الخلائفَ لم يستخلفوا ولدا

منهم فما لبنى حربٍ قد ابتدعوا ؟

منًى تمنيتِـها يا عزُّ ضائعـــــةٌ

إنَّ الحسينَ لَمعْنِىٌّ بمـا يقعُ

(١) عزب : غاب (٢) معاوية بن أبى سفيان . (٣) يزيد بن معاوية .

كيف السبيلُ إليه وهو مُحتفلٌ

بذلك الحدثِ المشهودِ مُضْطَلِعُ

عزة : لُبْنَى رأيتُ ابنَ حزمٍ فى ضيافتِكم

هلاَّ سألنا عن الأحبابِ ما صنعوا

لبنى : دعى ابنَ حزمٍ وغاياتٍ ينصُّ لها

كُبرى الجهودِ وأهدافاً يُساورُها

إن ابنَ حزمٍ بأمرِ العهدِ مُشتغلٌ

فى عُصبة تَزَحَمُ الدنيا مآثرُها

فى عُصبةٍ من قُريش عزَّ قاصدُها

على الزمان ومولاها وناصرُها

فيها عبادِلَةُ(1) الإسلامِ ما فَتِئتْ

يُطاعُ فى الناسِ ناهيها وآمرُها

جَلَّتْ فما نافستْ أمضى بواترِها

بالبيدِ فى شرفٍ إلا منابرُها

(1) هم : عبدالله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص

هذا أبي وابنُ حزمٍ يُقْبلانِ معا
تَغشاهما حِدةٌ تبدو بوادرُها
في فِتيةٍ من بني الأعمامِ يَقدمُهمْ
خطيبُ كعبٍ وراويها وشاعرُها

المشهد الثاني

يدخل الحباب وابن حزم وهما يتحدثان في جد وتحفظ . . .
ويدخل وراءهما مالك ومطيع وطارق

ابن حزم : سلامٌ دُرّتَيْ كعبٍ — وَمَجْلَى فخرِها الأسنَى
لعزة ولبنى
ومن أفضلُ من عزٍّ ؟ — ومن أكرمُ من لُبنَى ؟

عزة : ظلمتَ إذنْ بني كعبٍ — أبِالنِّسوةِ تعتزُّ ؟
ضاحكة
وفي فتيانِنا عِتقٌ (١) — وملءُ دمائِهم عزُّ

لبنى : لهم أيْدٌ (٢) على الناسِ — إذا ماغُولِبُوا عزُّوا (٣)
إذا هزُّوا القنا أرسوْا — وإن سيلوا الندى اهتزُّوا

الحباب : ألا رفقاً بعمِّكما — ففيها قلتُما غَمْزُ
ضاحكا

(١) العتق : الشرف . (٢) الأيد : القوة والفضل . (٣) عزوا : أي غلبوا .

ابن حزم : معاذَ اللهِ ما الغمزُ على بالٍ ولا الوخزُ
ولكن قالةُ الحقِّ . . . وفى كتمانها عجزُ (١)
لقد أنصفتِ يا لُبْنَى وما بالغتِ يا عزُّ
(ينفرد الحباب بابن حزم فى ناحية من المسرح)
الحباب : عَجَبٌ ما سمعتُ منك فما كنـ
ـتُ أظن الأنباءَ جِدَّ خطيرهْ
أن أمراً دهى مُعاوىَ حتى
عاد عُطلا من الحِجا والبصيرهْ
أىُّ عهدٍ يُريدُ أن يُرغِمَ النا
سَ عليه وبَيْعَــةٍ منكورهْ
أهرقليةً يريدُ ابنُ هنـدٍ
عَلِمَ اللهُ إنهـا لكبيرهْ
بِدْعَةٌ(٢) من بناتِ مَرْوَانَ والضَّـ
ابن حزم : ـحاكِ بل يتبعانِ وَحْىَ المُغيرهْ (٣)

(١) الخطأ والتقصير والضعف . (٢) البدعة : الحدث فى الدين .
(٣) مروان بن الحكم والضحاك بن قيس والمغيرة بن شعبة .

مَلأُوا الشامَ والعراقيْن والكو
فَـةَ بغيـــاً ويثربَ المبرورهْ
وسعوْا فى البلادِ بالدعوةِ البلـ
ـقاءِ(١) طوراً والدعوةِ المستورهْ
إنها فتنـــةٌ ستنتظمُ الملـ
ـكَ وتغزو أطرافَهُ وثُغورَهْ

الحباب : إنّ لى مجلساً هَلُمَّ إليه
نلتمسْ فيه وَحدةً يابنَ حزمِ
قد نُتِمُّ الحديثَ فى ذلك الأمْـ
ـرِ وقد ننتهى لرأىٍ وحُكمِ

« يدخلان إحدى الخيام »

المشهد الثالث

(يجلس الباقون جميعاً فى مجلس أمام الخيام يتسامرون)

مطيع : أديرى علينا شهىَّ السِّيرْ وقولى فقولُكِ راحُ السمرْ
فديتُكِ لبنى فهل عن هوىً حديثٌ وهل عن محبٍّ خبرْ

(١) الظاهرة الواضحة .

لبنى : وما شأنُكم بهوى العاشقينَ كفاهم عذابُهمو المُستقرْ
دعوهم لنارٍ تَقُدُّ الحديدَ ولاعجِ شوقٍ يُذيبُ الحجرْ
ودَمْعٍ منَ الأكبدِ المُضنَيات ومن مُقَلٍ ثَرَّةٍ (١) مُنْهمِرْ
يقومون يومَهمو نُزَّعاً ويجمعهم ليلُهم بالسهرْ
رَثَيْتُ لهم فى شقاواتِهم كأنَّ حَمَّلوا سيِّئاتِ البشرْ
طاروه هامساً : أتسمعُ مالكُ قولَ الفتاة
مالك : أجلْ فهو ترجيعُ وجدٍ قَهَرْ
طاروه : أتحسَبُها جدَّ مشغوفةٍ
مالك متهكماً : كأنَّك لا تستسيغُ الخبرْ
تأملْ تَرَ الوجدَ فى عينِها ومايفضحُ الوجدَ مثلُ النظرْ
لنفسه لكِ اللهُ لبنى أسرتِ الفؤادَ فما اعتزَّ إلا بذُلِّ الأسَرْ
وقفتُ عليكِ غرامَ الشبابِ وهِمتِ بغيرى عَدَتْكِ الغِيَرْ
طاروه هامساً : رُويدَك مالكُ لا تبتئسْ (٢) فما أقربَ اليُسْرَ بعدَ العُسُرْ
عزة مداعبة : أليسَ لهمسِكما آخرٌ ففى الهمسِ مفسدةٌ للسمرْ

---

(١) كثيرة البكاء . (٢) لاتحزن .

ترى أىَّ عِرضٍ تناولتُما وأىَّ الغوانى وأىَّ الأُسَرْ
ألا ويْحكم من شبابٍ غوى فلم يُبق فى غَيِّهِ أو يذر . . .
تأنَّق فى جهلهِ عَابثاً وأمعنَ فى لهوهِ وانفجرْ

مالك : أراكِ يا عزُّ غضبَى فما سمعتُ فظيعُ

طارق : ما بالُها تتحدَّى ما خطبُها يا مطيعُ
في خبث

مطيع : ما خطبُها ؟ كلُّ شىء لعزَّ حُلوٌ بديعُ
حِبٌّ مؤاتٍ وحُبٌّ طاغٍ وشمْلٌ جميعُ

يتضاحكون . . . .

عزة : يا لَلْكَذوبِ المُداجى كلُّ الرجالِ كذلكْ
من عهدِ عادٍ جَنيْتُم على النساءِ المهالكْ
القولُ كالصبحِ ضاحٍ والفعلُ كالليلِ حالكْ

لبنى : يا عزُّ حَسبُك قالا لقد ظَلمتِ الرجالا
هم أمْنُنَا وحِمانا وحِصْنُنَا أن تُنَالا
براهم اللهُ عَوْناً لنا وعِزًّا ومالا

طارق : بل زانَكُنَّ رياضاً ومدَّكُنَّ ظلالا

وردّكنّ نعـــيماً ورحمـــــةً وجمالا

مالك : لُبنى تدافعُ عنّـــــا فديْتُ لُبــنى بنفسى

عزة : لِمْ لا تدافعُ عنـــكم ألستمو جنسَ قيسِ

(يتضاحكون جميعاً عدا مالكا)

لبنى : ماذا تقولُ هٰـذه الثرثارهْ
في غضب يسير

مالك : تذكُر أمراً قد حَمَلْنَـا عارَهْ
في حدة

تذكر أمراً عَزّنا أن نَحْسِـمَهْ

جرَّ علينا القـالةَ المُذمّـهْ

تدمَغُنـا صريحـــــةً ومُبهمهْ

ونحن أهلُ البأْس أهلُ المكرُمهْ

إنَّ لنا الكتائبَ المُلَمْلَمَهْ (١)

ما شَرَعت إلا السيوفَ المُعلَمَهْ

نُجدِّلُ الباغىَ أو نقوِّمَـهْ

ونحفظُ الجـارَ ونرعى حرمهْ

(١) المجتمعة الكثيرة .

كنا فهنّا كالقنا المُحطَّمَهْ
مما روى الجيلُ ومما جمجمهْ (١)
عن مُغرمٍ يغزو الحمى لمغرمهْ

لبنى : مالكُ أحسنتَ الذِّيادَ (٢) عَنَّا
سَموْتَ مَبْنًى وأجدتَ مَعنَى
لـكنَّكَ ازددتَ علينا مينْا (٣)
ضِقْتَ إذنْ بشعرِ قيسٍ أُذْنَا
وكان أولى أن تراه فنّا
جدَّد فى السحرِ الحلالِ لوْنَا
غنَّت به البيدُ فكانَ لحنَا
واحتفلَ الدهرُ به وجُنَّا

عزة : ضاقَ الفتَى ذيْلاً به ورُدْنَا
في خبث
ألم يقولوا عنهُ : قيسُ لُبنى ؟
ما كلُّ رامٍ نالَ ما تمنَّى

(١) الجمجمة : الحديث لا يكاد يفصح عنه اللسان (٢) الذياد : الدفاع (٣) المين : الادعاء والكذب

مالك لعزة : أرضيتِ أن نسبوا للُبنى شاعراً

نَزِقاً رماها بالشّنيعِ ونالَهَا

ما زالَ يُلقى حولَهَا بنســيبه

رِيباً تلمّسها ومدّ ظِلالَهَـــا .

لو كانَ يَصْدُقُ فى هواهُ كما ادّعى

لرعَى مكانَتَها وصانَ جلالَهَا

ثم يخاطب لبنى في آل عمّك كلُّ كفءٍ ماجدٍ

لَبِسَ الفُتُوّةَ ساحباً أذْيالَهَا

يَحمون أعراضَ العشيرةِ بالقنا

ويُقرّبونَ على النـدى أموالَهَا

لبنى في عتاب : أعربتَ عن أمرٍ أظنُّكَ جاهلا

أنّى أحطْتُ بسرِّهِ وعَرَفتُهُ

طَالعْتُهُ وأراكَ تؤثِرُ كتْمَهُ

ولمحتُهُ فى ناظريكَ وشِمْتُهُ

وودِدْتُ لو أنِّى أجبتُك للّذى
ترجو ولكنْ مطلبٌ ما استطعتُهُ
فارْدُدْ هواكَ إذنْ وحسبُك أننى
أحسَستُهُ فقدَرْتُهُ ورحمتُـــــهُ
إن كنتُ مالكُ قد فقدتُك صاحباً
فلقد حفِظْتُك لى أخاً فَدّيتُهُ
طارق : لُبنى أراكِ قطعتِ الأمرَ ظالمةً
إذنْ لقد صحّ ما قالوا وما زعموا
يا بنتَ شيخِ الحى فَضْلًا ومكرمةً
بأبى الذى تفعلينَ الفضلُ والكرمُ
رددتِ أسمحَ فتيانِ الحى خُلُقًا
فتًى يُضىءُ عليه النبلُ والشممُ
ردَدْتِه أملًا فى عابثٍ ثُلمتْ
فى شعرِهِ العابثِ الأعراضُ والحُرَمُ

عزة : جاوزتَ طارقُ حدَّ الفضلِ فى رجُلٍ

سمتْ به العزةُ القعساءُ والهممُ

يعلو بهِ الحسبُ الأسنَى ويرفعهُ

شعرٌ هو الراحُ للبيداءِ والنغمُ

مطيع : أراكُمو قد ذهبتم فى حِوارِكُمو

مذاهباً يتّقيها العاقلُ الفَهِمُ

هذى الأحاديثُ لو فى خَلوةٍ طُرحتْ

لما بدتْ هكذا تَغْلى وتضطرمُ

عودوا إلى سمر فالليلُ مبتسمٌ

للسامرينَ، وعندَ الصبحِ فاختصموا

(تنسحب لبنى وعزة إلى داخل الخيام)

مطيع : إنى أرَى عُصْبَةً تدنو
متطلعا إلى الخارج

طارق : أتعرفُهم ؟

مطيع : أكادُ أعرفُهم ها قيسُ بينهمو

مالك : قيسٌ لعمرى فما نُبقِ عليه فما لمثلهِ عندنا عَهْدٌ ولا ذِمَمُ
فى غضب

طارق : مَنْ ذلكَ السابقُ الدانى ؟

مطيع : أتجهلُه ؟

« هذا صَفىُّ ابنِ خيرِ الناسِ كلِّهمُو »

« صَفِىٌّ من تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ

والبيتُ يعرفُه والحلُّ والحَرَمُ »

(يهرع مطيع فرحاً للقاء القادمين)

مالك : هـذا عتيقٌ وقيسٌ فى صحابتِهِ

من أجلِ لُبنى وأيمُ اللهِ قد قدموا

ليسَ الشفيعُ بمن تُكدى (١) شفاعتُه

تكادُ تندكُّ آمالى وتنهـــــدمُ

(ينسحب كل من مالك وطارق إلى ماوراء الخيام)

المشهد الرابع

(يظهر قيس بن ذريح وذريح وعبد الله بن أبى عتيق وأشجع وعامر ومطيع)

قيس : يا دارَ الحبيبِ راوحَكِ القَطْـــرُ وغاداكِ يا ديارَ الحبيبِ

حدِّثينى فكم سكبْتُ حديثى وحنينى فى رملكِ المهضوبِ (٢)

(١) تكدى : تخفق . (٢) المهضوب : الممطور .

كيف أنباؤها أتحفظ ودّى   وعهودى أم قلّ منها نصيبى
كلّ أغصان سرحة [1] فى روابيـــك أحسّت بلاعجى ونحيبى
ورأتنى تحت الدّجى ضارع الخــدّ غريقاً فى مدمعى المسكوب
أترى تنزّى الطائر المجروح فى مخلب المصور الغضوب
يا ديار الحبيب هل يأذن الله   بتفريج كربة المكروب

مطيع لقيس : أملٌ راضه الحسين فما أحـــراه بالفوز والنجاح القريب

عامر : ويك يا قيس تماسك   قد بلغنا بعد أين
كرم الدهر وقد كا   ن لئـــيم الملوين
بعـد أيام من التـــبريح والبثّ مضنين

أشجع : وامّحى اليأس فأضحى   أثراً من بعـــد عين

مطيع : المنى والنّجح والرحمـــة فى سعى الحسين

قيس : هذه دارها وتلك سماها   شرفت أربعاً وعزّت سماء
ربّ هيئ لنا رشاداً من الأمـــر وحقق بابن النبىّ الرجاء

ابن أبى عتيق : ياأخى قيس جئت أرعى الأخاء   هل ترانى أجزيك إلا وفاء

(١) السرحة : الشجرة العظيمة لا شوك فيها .

لم تَجِدْنى لولا الحسينُ المُفدَّى خاطباً مُحسناً لِتِرْبٍ أساءَ
أنتَ تدرى عادَ(١) القبائلِ ياقيـــسُ فَلِمْ رُحتَ تتبعُ الشعراءَ
ترسلُ الشعرَ مُعجزاً يُرقص البيـــدَ ولكن يروِّعُ الآباءَ
سَتَرى الشيخَ مُحْنَقاً يُكْبِرُ الأمـــرَ ويَروى النسيبَ والأنباءَ

قيس : يارسولَ الحسين كنتَ مَلاذاً لى وأمناً ورحمةً ووِقاءَ
نشجَ القلبُ فى الضلوع فأرسلـــتُ بكاهُ نُفاثةً وغِناءَ
فى قوافٍ جمعْنَ فى نَسْجِها المُوْشِيِّ نفساً تناثرت أجزاءَ
أخطأ الوجدُ والصِّبا فالتمس لى الصفحَ منهم والعفوَ والإغضاءَ

(يتجه مطيع إلى باب خيمة الحباب منادياً)

أحبـابُ يا شيخَ الحمى أُخْرُجْ لأضيافٍ كرامْ
لازلت مقصـــودَ الرحا بِ مُفَضَّلاً بين الأنامْ

الحباب من داخل الخيام : مرحباً بالكرامِ أيًّا يكونو نَ فبيْتٌ رَحْبٌ وربٌّ كَفِىٌّ(٢)
أدخلوا آمنين

(يظهر ويظهر عندئذ مالك وطارق وآخرون)

قيس : عِمْتَ مَســاءً أيها الكابرُ الأشمُّ الأبىُّ

(١) عاد : جمع عادة . (٢) الكفى : الكافى عن سواه .

الحباب : من ؟ أقيساً أرى ؟ وهـذا عتيقٌ ؟
وذريحٌ ؟

ثم مخاطبا قومه: هيّئوا الوسائدَ هيّئوا

(تهيأ الوسائد ويجلس الجميع) .

ابن أبي عتيق: إنني وافدُ الحسينِ إليكم

الحباب : كرُمَ الموفدُ النقيُّ التقيُّ

في تبجيل
يا رسولَ الحسينِ مُرسِلُكَ الآ — مِرُ فينا والقائمُ المرْضيُّ
لكَ عندي مكانةٌ أنت مجـ — ـلاهُ علينا ونورهُ القدسيُّ
كلُّ أمرٍ يُجابُ لابنِ رسولِ الله — ـهِ مرٌ إنني المطيعُ الحفيُّ

ابن أبي عتيق: ذاك قيسٌ تِربُ الحسينِ المُفدَّى — وله عندهُ المكانُ العليُّ
إنه لا مِراءَ كفءٌ للنبي — حسبٌ باذخٌ وفرعٌ ذكيُّ

(فترة صمت يتبادل فيها الحباب مع بني أخيه نظرات دالة على عدم الرضا)

الحباب : أيُّ قولٍ هذا الذي جئتَ تُلْقي — لا تَهِجْ لاعِجَ الجوى المكظومِ
أنتمو في ربوع كعبٍ حقيقو — ن بضافي التبجيلِ والتكريمِ
أيحيطُ الحسينُ بالعطفِ غِرّاً ؟ — أيجيبُ الحسينُ سؤلَ أثيمِ ؟

ابن أبي عتيق: بل يجيبُ الحسينُ سؤلَ رفيقٍ — وابنِ أُمٍّ قد أرضعته رَؤومِ

لو أطاقَ الحسينُ جاء ولكنْ عِيقَ عن ذاك بالمُهمِّ الجسيمِ
قال سِرْ للحُباب فاسألْهُ باللـــهِ وبالبيْتِ والودادِ القديمِ
وترجَّلْ إذا بلغتَ حماهُ واخلعِ النعْلَ فى رِحابِ الكريمِ
قال وابذلْ له رجائى ونُصحى

الحباب : بعضَ هذا فقد أثرتَ كُلومى
أزَواجاً وقد رَمانا فاصمى ؟ مَطْلَبٌ ما أرى إليه سبيلا
عاثَ فى عرِضنا وأغرى بنا التشهـــيرَ فى البيدِ أُسرةً وقبيلا
وعدا باغياً علينا جريئاً مارعى حُرمةً ولا عَفَّ قِيلاَ
مالك : وتوالى على الفتاةِ مُسيئاً مُمْعِناً فى كِذابهِ ومُطيلا
فى حقد يارسولَ الحسينِ لو لم تُجِرْهُ لتركْنا السيوفَ تَشْفِى الغَليلا
فاقْتَصَصْنا لعرضِنا وأخَذْنا هُ على ماجناهُ أخْذاً وبيلا(١)
طارق : هو ماقلتَ هذه سُبَّةُ الدهـــرِ كفانا حِلْماً وعفواً جميلا
الحباب : يارسولَ الحسينِ رُحماكَ فاغفرْ للشبابِ الغضابِ هذا الفُضولا(٢)
ساءهم أنْ يرَوْا أكاذيبَ قَيْسٍ تملأُ البيدَ عَرْضَها والطولا

(١) الوبيل : الشديد (٢) الفضول هو مالا خير فيه من الحديث وغيره . وهو جمع نزل منزلة المفرد

من أحاديث تَستفيضُ وتُرْوَى ... وقوافٍ تَسيلُ فيه مَسيلا
هَلْ تَرانا أهلاً وأهْلَ للعارِ ... نُلَقَّاهُ بُكْرَةً وأصيلا

ابن أبي عتيق: ياحبابُ اتَّئِدْ فقد أفسدَ الغيـ ... ـظُ عليكَ التدبيرَ إلا قليلا
عُدْ جليلاً إلى أناةٍ وقَصْدٍ ... ماأراني أثرْتُ أمْراً جليلا

ذريح: إنَّ قَيساً بَغَى عليكُمْ ولكنْ ... هَلْ عَرَفتَ الشبابَ إلاَّ عَجُولا؟
مَلَكَ الحبُّ لُبَّهُ فأضاع الرُّشْـ ... ـدَ منهُ والرَّأيَ والمعقولا (١)
يابنَ كعبٍ ندري كرامةَ كعبٍ ... عَظُمَتْ أفرُعاً وعزَّتْ أُصولا
واستطالتْ على القبائلِ فخراً ... وزَكَتْ سُؤْدداً ومجداً أثيلا
هبْ فتايَ المفتونَ قد أغلظ الذنبَ فهلاَّ تَرَى الحسينَ مُقيلا ؟

ابن أبي عتيق: إنني قد قَدِمْتُ أخطبُ لُبنى ... موفداً فابذلِ الجميلَ الجميلا
جئتُ هذي الرحابَ أسعى رسولا ليت شعري فهلْ تَرُدُّ الرسولا ؟

الحباب في تأثر وانفعال: لا وجدِّ الحسينِ أرسَلَهُ اللهُ ... بشيراً وهادياً وكفيلا
لا وجدِّ الحسينِ ماشاءَ أمضى (٢) ... مالنا بعدَ قولِه أن نقولا
قد رَضِينا بحكمِه وقبِلْنا ... والتمسْنَا منهُ الرِّضى والقَبولا

(تبدو مظاهر الفرح والابتهاج على قيس ومن معه)

---

(١) المعقول : العقل (٢) أمضى الامر : أنفذه .

الحباب : لُبنى تعـالىْ أقبـلى تعالِى
متجهاً إلى ناحية الخباء

(تخرج لبنى وفى أثرها عزة)

ابن أبى عتيق : عِمتِ مَسـاءً ربّةَ الكمالِ

جئتُ بقيسٍ مُشرقَ الآمالِ

يَسْعَى إليكِ فى الشبابِ الحالى

سألتُ ذاتَ الطهرِ والجمالِ

ألَا أجازتْ خِطبـةَ الرجالِ

ببسـمةٍ تُعرب كالمقـالِ

إن الحسينَ لفتاكِ والِ

وكالىء أنعِمْ بهِ من كالى

وأنتِ عندَهُ العزيزُ الغالى

لبنى : ذاك وربِّى موضعُ اختيالى
فى حياء

مَنْ كان راعيه فنى المعالى

يَرفلُ بين العزِّ والإقبـالِ

(يربت ابن أبى عتيق على كتفيها فى حنو وتكريم)

الحباب : يا آلَ كعبٍ أطعموا الجَوْعانا
وأوْلموا الولائمَ الحِسانا
وادعوا لها الجيرانَ والخُلصانا
ما جاءنا أكرمُ ممن جانا
ولا أعزُّ محتِدًا وشانا
كأنَّ سِبْطَ المصطفى وافانا
ووفدُ آلِ الليثِ فى حمانا
حلُّوا به الأصهارَ والضيفانا
(يدخل ابن أبى عتيق وذريح والحباب إحدى الخيام)

المشهد الخامس

(تتعالى الزغاريد . . ويتبادل الرجال والنساء صيحات الفرح والسرور)
(يرقص بعض الأعراب رقصة السيوف . ويجتمع النساء إلى لبنى والرجال إلى قيس)

عامر : سَراةَ كعب لقد عُدنا إلى مِقَةٍ (١)
يخاطب بنى كعب
وزال ما كانَ من حِقْدٍ ومن غَضَبِ

(١) المقة : الود والاخلاص .

أَوْلَيْتُمُونا يداً بيضاءَ قد شَرُفَتْ

ليثُ بنُ بكرٍ بها فى سائرِ العربِ

أشجع : رعاكمو اللهُ ، لولا لطفُ حكمتِكم

لبنى كعب

وفَضْلُ مَكْرُمَةٍ منكم وإيثارِ

إذنْ لباتت على وِتْرٍ قبائلُنا

وأتعبُ الناسِ من باتوا على ثارِ

طارق : يا آلَ بكرٍ حمِدْنا اللهَ إذ حُسِمَتْ

من بيْنِنا فتنةٌ مشبوبةُ النارِ

العهدُ والودُّ منذُ اليوم شِرْعَتُنا

هل غيرُ عهدٍ وودٍ بين أصهارِ ؟

(يتصالحون ويتعانقون فيزداد التهليل والهتاف)

عزة : ألَا فاهنَئَا

متقدمة بين العروسين

النساء : واسْعَدا

الرجال : واسْلَمَا

عزة : صفا العمرُ فاستمْتعا وانعما

لقد كفَّرَ الدهرُ عن سعْيِهِ فأدْركتُما ما تمنَّيتُما
ألا عشتُما في ظلالِ النعيمِ وأنجبتُما

الجميع في مرح : ثم أنجبتُما

(هتاف وتهليل ثم ينشد الفتيات والفتيان)

يا بهْجَةَ اللُّقْيا لُقْيا الحبيبينِ
إشْراقةُ الدُّنْيا في حبِّ إلْفَيْنِ
والفرحةُ السَّكرى في ضمَّةِ اثنيْنِ
يَهنيكِ يا لُبْنَى يا قُرَّةَ العيْنِ
هلْ يُشْرقُ المَغْنَى إلَّا بزوجيْنِ

(ثم ينشدون مخاطبين لبنى)

يا نَغْمَةَ الشادى تحتَ الدُّجى غَنَّى
يا نبْعةَ الوادى يا غُصْنَهُ اللَّدْنَا
يا همسةَ النجوَى أفضى بها المُضنى
يا قُبْلةَ الطلِّ روَّى بها الغُصْنَا
عمَّرتِ يا لُبْنَى أنجبتِ يا لُبْنَى

مطيع : بنى العمِّ ذلك عُرْسُ المُنَى

فهـــلَّا احتشدْنا له واحْتفلنا

هنيئـــاً لقيس ولُبْنَى معاً

فَلُبْنَى لقيسٍ وقيسٌ لِلُبْنَى

جميع الرجال : فلبنى لقيس

جميع النساء : وقيسٌ للبنى

الرجال : فلبنى لقيسٍ

النساء : وقيسٌ للبنى

(يخرج الجميع ويبقى قيس ولبنى وحدهما)

المشهد السادس

لبنى : قيسُ أحقٌّ ما نرى ونسمعُ

أم افقّوا هذى الرُّؤى (١) وجمّعوا

أمْ ذاكَ خَدّاعُ السّرابِ يَلمعُ ؟؟

قيس : تُرى أنام القـــدَرُ المروّعُ

(١) جمع رؤيا وهى ما يراه النائم .

وعادَ صَرفُ الدّهرِ وهو طيّعُ

لبنى : وبردَ القلبُ فما يفجعُ

وأقصرَ الشامِتُ والمُرجعُ

قيس : إنى توقّعتُ وما توقّعوا

قد يَلطفُ اللهُ بنا فيجمعُ

فتطمئنُّ أضلعٌ وأضلعُ

لبنى : وتستريحُ أدمعٌ وأدمعُ

وتَشتفى موجعةٌ

قيس : وموجعُ

لبنى : ياقيسُ هذا الرَّغَدُ المُمنّعُ

نَسقيه من أكبادِنا فيَينعُ

قيس : ونَحشدُ الحبَّ له ونجمعُ

كِدْنا وسُمْرُ العادِياتِ شرّعُ

نهلكُ . .

لبنى : لولا الطاهرُ المشفّعُ

قيس : لُبنى ، سلى الحىَّ يُنْبئْكِ الذى كانا
كم راءنى دامىَ الأحشاءِ ولْهانا
ما ضمَّنى الليلُ إلاَّ نازِعاً (١) أرِقاً
نبا بهِ المضجعُ المجفوُّ أسوانا
سلى شبابَ الحىِّ هَلْ كُنْتُ أعْمَقَهمْ
جُرْحاً ، وأغْزَرَهُمْ دمعاً وأشْجانا
حملتُ عِبْئِى بقلب كم أَسيتُ له
قلبٌ ألحَّ عليهِ الوجدُ ألوانا
لولا هواكِ وآمالٌ حييتُ لها
لكنتُ أضيعَ خلقِ اللهِ إنْسانا
هَلْ تَذْكُرِينَ على مَرْجٍ (٢) مجالِسَنا
نشكُو هوانا ونَغْلو فى شكاوانا
وحولَنا الليلُ يَطوى فى غلائلهِ
وتحتَ أعطافِهِ نَشْوى ونَشْوانا

(١) النازع : المشتاق . (٢) مرج : غدير من غدران وادى العقيق مشهور بجماله ووفرة مائه .

لبنى : نكادُ من بهجةِ اللُّقيا ونشوتِها
نَرى الرُّبى أيْكَةً ، والرملَ بُسْتانا
ونحسبُ الكونَ عُشَّ اثْنَينِ يجمعُنا
والماءَ صهباءَ ، والأنسامَ ألحانا
ونحسبُ العمرَ فيضاً من صِباً وهوًى
والغيبَ ملآنَ بالإشراقِ ريَّانا
قيس : لم نعتنقْ والهوَى يَفْرى جوانِحَنا
وكم تعانقَ روحانا وقلبانا
نُغضى حياءً ونُغضى عِفةً وتُقًى
إن الحياءَ سِياجُ الحبِّ مُذْ كانا
ثم انثَنيْنَا وما زالَ الغليلُ لظًى
والوجدُ مُحتدِماً والشوقُ ظَمْآنا
لبنى : يا قيسُ ذكَّرتَنى عهداً نعِمْتُ بهِ
حيناً وضِقْتُ بهِ يا قيسُ أحيانا

فى سبيلِ الهوى ما ذابَ من مُهَجٍ

وانهلَّ من مُقَلٍ زُلفى وقُرْبانا

خُضْنَا الليالىَ نشكوها ونُنْكِرُها

حَتَّى التقينا فقد لذَّت لنا الآنا

قيس : يَا ليلُ فاشهدْ واشهدى يا أربعُ

هذى أمانىُّ الصِّبا تَجَمَّعُ

وتلك أكمامُ الهوى تَضَوَّعُ

تَرِفُّ فى وشْىِ المُنى وتلمعُ

نجمُكِ فى ليلِ حياتى يسطعُ

وروحىَ الظمأى وأنْتِ المشرعُ

بلغتُ آمالى فما لى مطمعُ

ستار

الفصل الثانى

(فى حىِّ ليث بن بكر ، دار لقيس ولبنى . وكان قد مضى على زواجهما خمس سنوات)
(يدخل قيس كأنما هو مريض يتماثل للشفاء ، ويمشى معتمداً على لبنى)

المشهد الأول

قيس . . . لبنى . . .

لبنى : برئتَ(١) يا قيسُ فانعَمْ عَلَى مدى أعوامِكْ
قد مرَّ عامٌ طويلٌ فلم تَقُمْ من مُقامِكْ
(تتركه يمشى وحده)
سِرْ ولا تخْشَ بأْساً سلمتَ من كل شرِّ
قيس : وإن عَيِيتُ
لبنى (فى مرح) : فهذا صدرى أيجْزِىءُ صدرى ؟
قيس : تخاذلتْ خُطُواتى
لبنى : بل ثَبْتَةٌ خطواتُكْ
قيس : أكادُ أسقطُ ضعفاً
لبنى : إنَّ الضِّعافَ عُداتُكْ

(١) برأ وبرىء من مرضه يبرأ من بابى نفع وتعب : شفى .

قيس : لُبنى ! كَفَى أجلسينى فقد سئمتُ المسيرا

قطعتُ بهوينْ مشياً وكنتُ جلْداً صَبورا

لبنى : أرَى حُنُوِّى وعطفى قد أفسداكَ كثيرا

(فى مرح ظاهر) ما شئتَ يا قيسُ فاصنعْ . ألستَ طفلاً كبيرا ؟ !

(تجلسه فى عناية على مقعد وثير وتجلس إلى جانبه بجوار نافذة تطل على حديقة)

قيس : لُبنى ! أثابكِ ربِّى كلَّ صالحةٍ

عَنِّى وجازاكِ معروفاً وإحْسَانا

فى ذراعيكِ أبصرتُ الدُّنا اجتمعتْ

مجلوّةً ورأيْتُ الدهرَ مُزْدانا

لبنى : يا قيسُ ! برْؤُكَ ردَّ العمرَ لى أملاً

والدهرَ مُؤْتلقاً والعيشَ رَيَّانا

اليومَ أُنْسيتُ أياماً شَقِيتُ بها

وأصبحَ القلبُ لا قاسَى ولا عانَى

رأيتُ فى بيتِك النُّعْمَى مُذللةً

قطوفُها ، ورأيتُ العطفَ فينانا

وددْت لو ظلَّت الأيامُ غافلةً

عَنَّـا ، وهل سالمتْ من قبلُ إنسانا؟

قيس : لُبنى! فديتُـك هل ما زلتِ ناعمةً

كسابقِ العهد أم تُخفينَ أشجـانا

أكادُ أُبصر حالاً غيرَ راضيـةٍ

كأنَّمـا بعضُ أُنسِ العيشِ قد بانا

يَضيقُ صدرى بما تَـلْقَيْنَ من عَنَتٍ

وما تذوقين من شيخىَّ أحيانا

رَحمتِـنى فـكتمْتِ الجرحَ كيِّسةً

وزدتِ حلماً وإغضـاءً وإحسانا

لبنى : يا قيسُ! كلُّ بيوتِ الناسِ حافلةٌ

بعارضٍ من خلافٍ جلَّ أو هانا

فَلا تبيتنَّ مشغولاً بتافهـةٍ . . .

من الأمورِ ، ولا تجعلْ لهـا شانا

ما دمتَ لى فالدُّنا تحنو بأنعُمِها

علىَّ حتى كأَنَّ الخلدَ دُنيانا

قيس : صحِبتِنى حِجَجاً خمساً سُعِدْتُ بها

ما قلَّ حبُّك يا لُبنى وما هانا

ما زادنى قُربُك الحانى سوى وَلَهٍ

كأنَّما ضمَّ للنيرانِ نيرانا

إنْ أنْسَ لا أنسَ هذا العامَ بِرَّكِ بى

والداءُ يملؤنى نَفْساً وجُسمانا

مُوَسَّداً لم يذرْ منى السَّقامُ لَقَىً(1)

إلَّا فؤاداً وأنفاساً ووجدانا

فكنت لى فى ظلامِ اليأسِ أُمنيةً

وكنتِ فى سكراتِ الموتِ سُلوانا

وما رأيتُكِ والأدواءُ تفتِكُ بى

إلا وزوَّدْتِنى صبراً وإيمانا

---

(1) لقى أى : ملقى .

لبنى : كم من تباريحِ ليلٍ بتُّ تكتُمها

كيما أقرَّ وقمتَ الليـــلَ سهرانا

وأنّةٍ لم تزلْ فى فيـــكَ حائرةً

حبستَها فاســـتحالتْ فىَّ نيرانا

قيس : أخشى عليكِ بكاءَ القلبِ خاليةً

قد يدمعُ القلبُ دونَ العين أحيانا

إن استجابَ لىَ الرحمنُ أُمنيةً

إذنْ أُجازيكِ معروفاً وإحسانا

لبنى : سلِمتَ ياقيسُ ما أوفَى جزاءَكَ لى

هلْ صُغتَ لى من صميمِ القلب شكرانا

المشهد الثانى

(تدخل .. عزة .. ومطيع .. ويكونان قد ظهرا على المسرح منذ لحظات)

عزة (ضاحكة) : رويدَكما أيُّها العاشقان أما تَسأمان الصّبا والغَزَلْ

أَلم تَنْسيا بَعدُ فيضَ الدموعِ وخَفْقَ الضلوعِ ولحْنَ القُبَلْ

أليسَ لهـذا الهوى آخرٌ لعمرى فَذاكَ الهوى المُفْتَعلْ

مطيع : دعى العاشقيْن وكُفِّى العذَلْ فما العيشُ إلا الهوى والأمَلْ
ألم تسمعى عَذْبَ نجواهما وأعذبُ منها حديثُ المُقَلْ
وفى خبث رِفاء[1] يُنضِّرُ وجْهَ الحياةِ وحبٌّ يضىءُ ظلامَ الأجلْ[2]
لقد عَرَفا مانعيمُ الحياةِ وغيرُهما ساء رأياً وضلْ
عزة : تُعرِّضُ بى ظالماً فى الحديثِ كأنك زوجٌ كفى واكتملْ
أتذكر أنت نعيمَ الهوى ونجوى المحبِّين . ياللخجلْ
تحدِّثنى لا لأُنسِ الحديثِ ولكن لتفتحَ بابَ الجدلْ[3]
تُحبُّ ولكن لذيذَ الكرى وتهوى ولكن شهىَّ الأُكُلْ
(يتضاحكون . . .)
لبنى فى مرح : ظَلَمْتِ مطيعاً بما سُقتِهِ وجُرتِ وأىُّ لَعُوبٍ عدلْ
جَهَرتِ بشكواكِ من هَجْرِهِ فهلْ تَغفرِينَ إذا ماوصلْ ؟
(ضحك وتغامز . . . يدخل الخادم)
الخادم : بالبابِ عرَّافُ سَلْعٍ[4]
قيس : إيذنْ له فى الحضورِ
(يخرج الخادم)

(١) الرفاء : التحاب والتوافق (٢) الأجل : العمر كله (٣) الجدل : الحديث فى خصومة .
(٤) جبل بالمدينة المنورة .

لبنى : إنِّى لِعَرَّافِ سَلْعٍ ياقيسُ جِدُّ شَكُورِ
وَالآكَ غيرَ ضَنينٍ بفنِّه الموفورِ
ولم يُقَصِّرْ علاجاً على مَمَرِّ الشُّهورِ

(يدخل العراف)

العراف : سلامٌ ، كيفَ أصْبَحتمْ

قيس : على أحسنِ مانأمُلْ
إذا ما أقبلَ الليلُ بنومٍ هادىءٍ أقبلْ
فلاَ نَزْفٌ ولا حمّى تَدُكُّ المَتْنَ والمَفْصِلْ
مَشَيتُ اليومَ فى الدارِ فلم أسْقُطْ ولم أُحْمَلْ
أرانى عدتُ للدنيا تعالى المُنعمُ المُفْضِلْ

عزة
فى مرح : وعاد اليومَ للشعرِ وللوجدِ وللحبِّ
سمعناهُ يُناجيها بلحنٍ من دَمِ القلبِ
تَناسى أنه زوجٌ فأبْدَى لوعةَ الصَّبِّ
رياء يعلمُ اللهُ وكَذْبٌ أيَّما كذْبِ

(ضحك . . .)

العراف : تَعالى اللهُ حاسمُ كلِّ داءِ أرى قيساً تألقَ كالصباحِ
وهو ينظر لقيس

برئتَ فأشرقَتْ لبنى وقرّت وعادتْ للنّضارةِ والمِراحِ

أحاطَ اللهُ صاحِبهَا بحفظٍ وأنجاهُ من القَدَرِ المُتاحِ

رثيتُ لها الليالىَ وهى حَسْرى تَدَافعُ بينَ همٍ والتياحِ

شهِدتُ كِفاحَها والموتُ دانٍ

فكانَ وفاؤها روحَ الكفاحِ

لبنى : سنوسعُ فضلَكَ المأثورَ شكراً
للعراف

ونذكُر حُسنَ عطفِكَ ما حيينا

لقد أنقذتَنا ودفَعْتَ عنا وكنتَ أداةَ لطفِ اللهِ فينا

قيس : أأسألكَ الجميلَ ودِدْتُ أنِّى خرجتُ لحِّينا وبنى أبينا

سألتُكَ مرةً فصدَدْتَ عنِّى

العراف : لأنَّكَ كنتَ بين الهالكينا

تمتعْ بالحياةِ اليومَ واخرجْ إلى أترابكَ المُتشوِّقينا

وعدْ فأفِضْ على الدنيا بياناً تقاصَرُ عنهُ جَهْدُ الأولينا

حلفتُ بحرمةِ البيتِ المفدّى لقد أسمعْتَنَا السحرَ المُبينا
سكبتَ على الحجازِ ندًى وظلاً وفجّرت الرمالَ به عُيونا
عزة : شهادةُ صاحبٍ وحديثُ خدنٍ (١) فما أبقى إذنْ للمُلْهمينا ؟
ثم تتجه لقيس ألا قارضْتَهُ مِنْا بمِثْلٍ وَصُغْتَ من الثناءِ له فُنونا
(ضحك)
لبنى : أما شعرتَ بجوعٍ إنّ الطعامَ مُهيّا
فى تدليل يا قيسُ إن شئتَ مُرْنى تجدْ خِوانا شهيّاً
قيس : هاتيهِ يا نورَ عينى هاتيهِ لى بيديكِ
فإن طعِمْتُ فرِيّى هناكَ فى شفتيكِ
عزة : هل تسمعانِ لقيسٍ وهل تُرى تنظرانِ ؟
للطبيخ والعراف . يحسو بعينيه لُبنى عينانِ منهومتانِ !
لم تَعْدُوَا قطُّ عنها وقلّما تشبعانِ
لبنى : كفاكِ يا عزّ لغواً وأقبلى ساعدينى
هل تصلحينَ لشيءٍ إلا لهذا المجونِ !
(لبنى تدفع عزة إلى خارج البهو فى مرح ظاهر بين ضحك الباقين)

(١) الخدن : الصديق ، وأغلب استعمالها فى صديق السوء .

قيس : إنى سُعِدْتُ بحبِّ لُبنى قانعاً

بهوایَ من هذى الحياةِ بأسرِها

طالعتُ إشراقَ الحيـاةِ وحُسنَها

فى حُسنِ طلعتِـها ومُشرِقِ طُهرِها

مطيع : ما زالَ قيسٌ غارقاً فى حبِّهـا

رَطْبَ اللسانِ بحمدِها وبشـكرِها

يَرْوى مفاتِنَهـا فيُبلغُها المـدى

كَلِـفاً بها مُتأنقاً فى ذكـرِها

ويظلُّ فى شَغفِ المحبِّ وشجْوِه

يُنبيكَ عن نارِ الغرامِ وحرِّها

وهو الذى يُمسى ويُصبحُ عنـدَها

إن شاء لم يبرحْ مُعَطَّرَ خِدرِها

العراف : أمطيعُ قد أشبهتَ زوجَكَ عامداً

فى ظُلمِهـا ، وشأوتَهـا فى هُجرِها

قيس : دعْ ذاكَ ولنغنمْ فديتُك خلوةً
في صراحة وجد
قد هُيِّئَتْ لثلاثةِ أحلافِ
إني لآملُ منك رأيَ مُجرِّبٍ
خَبَرَ الأمورَ ، ومن أخي العرافِ
قد أصبحَ العُشُّ السعيدُ بأهلهِ
وَكْراً لكلِّ قطيعةٍ وخلافِ
مسكينةٌ لبنى تضيقُ بهمِّها
فتذيبُه في دمعها الذّرافِ
وتَبيتُ تكتُمني الشجونَ وربَّما
أفضتْ بها للمضجَعِ المُتجافي
مطيع : يا قيسُ ! ليسَ الرأيُ سَهْلاً هيِّناً
ولو انَّ وجهَ الحقِّ ليسَ بخافِ
أبواكَ قد ضاقا بها وتنكَّبا
في أمرِها عن شِرعةِ الإنصافِ

حَمَـلا عليها ظالمين وأرجفـا
ما أولعَ الشـيخين بالإرجافِ
العراف : يا قيسُ إنك قد برئتَ فلم أعُدْ
أخشى عليـكَ تَقَلُّبَ الأدواءِ
فانهضْ بعبئكَ بين أهـلِكَ والتمسْ
حَسْما لتلك الحـالةِ النّكْراءِ
فى بيتـك احتدم النزاعُ فأصبح الـ
ـدّانى على علمٍ به والنّـائى
فإذا بحثتَ عن الدوافعِ لم تجدْ
غيرَ الهوى والنزوةِ الحمقـاءِ
قيس : إنّى طلبتُ الرأىَ يجلو حَيْرتى
ويردُّ لى فى العيشِ بعضَ رجائى
فأبيتُما إلا شِـكايةَ مُشـتكٍ
وَضَنَنْتُما بفواصـــــلِ الآراءِ

كيفَ السبيلُ إلى رِضى أبويَّ عَنْ

لُبنى

مطيع : طلبتَ خوارقَ الأشياءِ

لن يَرضيا عنها ولو جاءتْهُما

بخلائقٍ كخلائقِ الزهراءِ (١)

(تدخل لبنى وعزة ومعهما سلال بها طعام وشراب)

عزة : جئنا لكمْ بطعامٍ تهْوِى النفوسُ إليهِ

لنا اقتراحٌ فهلّا وافقتمونا عليهِ

لبنى : إذا لم يرَ العرافُ بأساً فَلَيْتَنا

خرجْنا فقد سالَ العقيقُ (٢) وأعشبَا

لنا في حواشي حِضْنِه السمْحِ روضةٌ

عزة : تعالوْا نَذُقْ فيها النعيمَ المُحَبَّبَا

لبنى : تَضعْ أنفسٌ عنها أساها وهمَّها

عزة : وَتَسْتَلْقِ في حِجْرِ الصّبابةِ والصِّبا

(١) لقب للسيدة فاطمة بنت رسول الله . (٢) العقيق : واد بالمدينة المنورة إذا سال حمل الرزق والخير .

لبنى : خمائلُكَ الغنَّاءُ يا قيسُ طالما
تبعَّدَ عنها ربُّهـا وتغيَّبا
أكادُ أراها حين ضمَّتْكَ سالماً
تَضَاحَكَ فيها زرعُها وتأشَّبَا (١)

العراف : رأيتِ صواباً فانْهضوا وتأهبوا
فإن لنا فيها مِراحاً وملْعَبَا

قيس : ويا عزُّ فابْغِ والدىَّ فإنْ هما
أجابا فأَهلاً بالكريمينْ مرحبا

عزة : سأفعل فامضُوا هانئين

العراف : فما أرَى
لعزة بينا تخرج لبنى بقيس
رجاءكِ فى الشيخينْ إلا مُخَيَّبَا
ستلقينْ إعراضاً وسُخطاً وربَّما
ألمَّا بلُبنى ظالمينْ فاسهبا

---

(١) تأشب : التف وأينع .

أكادُ أرى فى الأفْقِ خطباً مُرَوِّعاً

رمى عُشَّ قيسٍ بالدمارِ وخرَّبا

(يلحق العراف بلبنى وقيس ويبقى مطيع وعزة)

عزة : أرى العرافَ ماكذَبا فإن الأمرَ قد حزَبَا

يَرى الشيخانِ فى لُبنى عـدوًّا مُضمراً حَرَبَا

هما شـنَّا وما عَـدَلا عليها الحقْـدَ والغَضَبا

فكم ظنَّـا الظنونَ بها وبعضُ الظنِّ قد كذبا

مطيـع : وقيسٌ باتَ بينهمـا طليـحَ الهم مُـكتئبا
وهو خارج

وكان الأنسُ مؤتلفـا فأضحى الأنسُ منشعبا

المشهد الثالث

(يدخل ذريح وأم قيس ويخاطبان قيساً من بعيد ظانين لضعف نظرهما أنه فى غرفتـه لم يخرج كعادته . وتدخل فى أثرهما عاتكة)

ذريح : سـلامُ اللهِ يا قيسُ

أم قيس : سـلامُ اللهِ يا وَلَدى

عزة : لكِ البُشرى ، مشى قيسٌ بلا وعْكٍ (١) ولا جَهَدِ

(١) الوعك : مايجده المريض من الألم .

ذريح : هَدَأْتَ الآنَ يا قلبى تماثلَ قيسُ فابْتَرِدِ
أُم قيس : تمنّينا فأُعطينا فقَرِّى اليومَ يا كبدى
ذريح : وأينَ ابنى ؟
عزة : لَقَدْ خرجوا فما بالدار من أَحَدِ
مضوْا للروضِ يبغونَ جلاءَ الروحِ والجسدِ ...
يودُّ فتاكما قيسٌ ويرجو أن تجيئاهُ
فَيضفو [1] أنسُه بكما وذلك ماتمنّاهُ
(يلتفت الشيخان بعضهما إلى بعض فى استنكار)
أُم قيس : عجبتُ لما تقولينَ فإن العقلَ يأباهُ
لئنْ جُلنا بخاطره لأنبانا فنلْقاهُ
ذريح : لقد أمعنتَ يا قيسُ كفانا ما جرعناهُ
أيومَ شفاكَ تنسانا فما تَرضاه نرضاهُ
أُم قيس : أيدعونا ويرعانا أبَا قيسٍ ظلمناهُ
فَما قيسٌ بذى لُبٍّ ألم تَسْلُبْهُ لُبناهُ

(١) ضفا يضفو : زاد وكثر .

زينب : صدقتِ فلم تزلْ لُبنى شقانا ، حسبُنا اللهُ

عزة : أبا قيس أراكَ شكوتَ لُبنى بلا ذنبٍ حقيقٍ بالشّكاةِ

فهل أنكرتَ منها غيرَ فضلٍ وأخلاقٍ زكيْنَ ومكرماتِ

أقَامتْ فى ربوعكَ ما أقامتْ فكانت زينةً للقانتاتِ (١)

أطعتم كلَّ واشيةٍ بلُبنى وما ألقتْ بسمعٍ للوُشاةِ

أمن أخطائِها الكبرى هَواها لقيس . تلك إحدى المضحكاتِ

عاتكة : علمتِ الحقَّ ثم صَدَدْتِ عنهُ وجُرْتِ على مقام الفُضْلَياتِ

كأنَّكِ تجهلينَ صفاتِ لُبنى لقد لؤُمتِ وهانتْ من صفاتِ

فما عمِّى بظالمِها فتيلاً

عزة : حسدتِ فكنتِ شرَّ الحاسداتِ

عاتكة : وما حَظِيَتْ لدى قيسٍ بفضلٍ ولكنْ بالحظوظ المُقبلاتِ

أم قيس : سعتْ بى عند قيس منذ حلَّتْ فهُنْتُ عليه بين الوالداتِ

تُحرِّضهُ وتوغِرُه علينا وتنفثُ فيه سحرَ الساحراتِ

سيصحو المدنَفُ المفتونُ يوماً فيلفظُها وهذا اليومُ آتِ

---

(١) المطيعات .

عزة : أيا أماهُ ما أنصفتِ لبنى حَقَدْتِ فَأبرئت من افتئاتِ
رُويدَكما فلُبنى عند قيسٍ مُنى الدنيا وآمالُ الحياةِ
فإنْ لم تَرْحَما لبنى ، فقيساً وقاهُ اللهُ شرَّ العادياتِ (١)

(تبدو على ذريح وزوجته مظاهر دالة على الحنق . . تخرج عزة)

المشهد الرابع

(ذريح . . أم قيس . . عاتكة . .)

ذريح : يا أمَّ قيسٍ

أم قيس : ضِقْتُ ذَرعاً بالذى ألقى

ذريح : فهاتى النصحَ والإرشادا

أم قيس : أصبحتُ أبْرَمُ بالحياةِ فما أرى .. فى الدارِ إلا فِتنةً وفسادا

ذريح : كنا بأنعمِ عيشةٍ وألذِّها تجرى الحياةُ محبةً ووِدادا ..

أم قيس : حتى بنى (٢) قيسٌ بلبنى فابتنى بالبيتِ صرْحاً للشقاءِ وشادا

ذريح : كان الحنقُّ بنا المطيعَ

أم قيس : فلم تزلْ تُغْرِيه حتى عَقَّنا وتمادى

(١) جمع عادية وهى الظلم والشر والنكبة . (٢) بنى بها : تزوجها .

ذريح : لم تُبقِ لبنى فى فؤادك رحمةً يا قيسُ

أم قيس : بلْ لم تُبْقِ فيه فؤادا

أرأيتَ كيفَ إذا اجتمعْنا خصَّها بولائه وحديثِه ورعاها

عاتكة : أرأيت كيفَ يحوطُها بحنوِّه .. ويرى الوجودَ وما يضمُّ فداها

وتكادُ تَنهلُ روحُه من روحها؟

ذريح : ضلَّ الغويُّ فما يُحسُّ سواها !

أم قيس : أشهدتَها أيامَ عِلَّته وقد طَفِقَتْ تُريه شَجْوها وأساها

تُلقى إليه بخادعٍ من عطفِها ومُموَّهٍ من حبِّها وهواها

عاتكة : تُذكى صبابتَه بباسمِ ثغرِها وتَهُزُّ مهجتَه بحَرِّ بُكاها

الأب : يا للغبيِّ ، يظنُّ ذلك لوعةً

أم قيس : جَهِلَ النساءَ وكَيدَها ودَهاها

المشهد الخامس

(يدخل قيس والعراف وعامر وأشجع . وفى أثرهما مطيع ولبنى وعزة)

قيس : أبويَّ لم نَنْعَمْ بأيسرِ مُتعةٍ

أنَّى (١) يكونُ وأنتما لم تحضُرا

(١) أنى بمعنى : كيف .

جئنا لنَسْعَدَ بالجلوسِ إليكما

ذريح : عجباً ! !

قيس : وأيُّ عجيبةٍ فيما ترى ؟

ذريح : اليومَ يومُ شِفاكَ كيف نسيتنا

أم قيس : إنَّا نراك أتيتَ أمراً مُنكَرا

ذريح : لو قد سعيتَ لنا شَفَيْتَ نفوسَنا

وردَدتَ للأجفانِ مُمتنعَ الكرى

أم قيس : دعهُ فلو ذاقَ الأبوَّةَ مرةً

لرعى حقوقَ الوالدين وقدَّرا . .

(تضطرب لبنى ، وينظر الجميع بعضهم لبعض فى وجوم)

عامر : يا عمِّ لا تغضبْ فشأنُكَ بيننا
(يحاول إنقاذ الموقف)
إمَّا زللنـــا أن تُقيلَ وتَغْفِرا

أنتَ الذى نأْوى لباذخِ ركنِهِ

لا زلتَ منصورَ اللواءِ مؤمَّرا

بلغت قبائلُنـــا بمجدِك مجدها
وتبوأَتْ بسناك أعرافَ (١) الذُّرَى

للفضل والرأى الموفقِ والحجَى
تبق ، وللعـــزِّ المُمنَّعِ والقِـرَى

ذريح : جاوزتَ يا ابنَ أخى المدى فسموتَ بى
متجهما
وأنا بأبياتى الذليـلُ المُـزْدرىْ

ما كان سيدَ قومِـه مَنْ قومُه
لا يأبَهون بما يقولُ وما يرى

قيس : أبتـاهُ ماذا قُلْتَ ، أىّ مذلةٍ
فى انفعال
تلْقى ، إذنْ أنا يا أبى أشقى الورى

ما كنتُ إلا ابنـاً فداك بروحهِ
ورأى رضاءَ اللهِ فيكَ مُصـوَّرَا

قَضَّيْتُ أيامى مُطيعـاً حانيـاً
أخشَى عليك من النسيمِ إذا سرَى

(١) واحدها : عرف ، وهو ما ارتفع من الارض .

وعَرفتُ للأمِّ الكريمةِ فضلَها

بالحبِّ أَجزيها الجزاءَ الأوْفَرا

أبوَيَّ ماذا تُنكران وأنتما

عندى أعزُّ وخيرُ من وطىء الثَّرى

أم قيس: ياقيسُ لم تَعُدِ الوفىَّ لأهلِهِ

إنِّى لجِدُّ أسيفةٍ أن اجهرَا

أشجع : ماذا جَنَى قيسٌ ؟ . . .

أم قيس : كأنَّكَ جاهلٌ

أشجع : بل قد علمتُ فما ونى أو قصَّرا

ذريح : قيسٌ تجهَّمَنا وأهملَ أمرَنا

أم قيس : بل غيَّرتهُ زوجهُ فتغيَّرا

المالُ مالُ أبيكَ كيف حبستَهُ

عَنَّا وسُقْتَ لها الحُلى والجوهرا

نبدو بأخْلاقِ الثيابِ وترتدى

لبنى الدمقسَ مُفَوَّفاً ومُدَنَّرا(١)

(١) المفوف والمدنر : ضربان من نقوش الثياب .

وإذا مرضنا عُدتَنا متثاقلاً

وتكاد إنْ وُعِكَتْ تذوبُ تحسُّرا

ذريح : وإذا دخلتَ الدارَ لم تعبأْ بنا

ودعوتَها فرِحاً بها مُسْتبشرا

وتراكَ لُبنى مُقْبِلاً متهلِّلا

فى حينَ لا نلقاكَ إلا مُدبرا

قيس : بهوايَ إلاَّ ما احتملتِ ، هبيهُما

للبنى فى همس وتسمعهما عزة
متَجنيين ، فشأْنُنَا أن نَصْبرا

كَبِرا ومن عَلتِ السنونَ به ابتغى

منْ أهلهِ وذويه عطفاً أكبرَا

عزة : كَبرا وما التسعونَ إلا ملعباً

لنفسها
يبدو به خَرَفُ المشيبِ مشهَّرَا

عاتكة : ما ذنبُ قيسٍ والمحرِّضُ غيرُهُ ما زالَ قيسٌ للجميلِ ميسَّرا

صوناه من سِحرٍ يبيتُ يذوقه فيَظلُّ مسلوبَ الرشادِ مصيَّرا(1)

---

(1) مصيراً : محبوساً ، من صاره يصيره حبسه ، والصيرة بكسر أوله : حظيرة الغنم .

لا تَظْلما قيساً

قيس : أعاتِكُ أمسكى قد كنت أظلم من تجنّى وافترى

وضعْتِ السمَّ فى الدّسمِ وفُهتِ بأظلمِ الكلِمِ

ورُمتِ الغضَّ من لُبنى بما ألقيتِ من تُهَمِ

فلبنى من سناً خُلقتْ ومن طُهرٍ ومن كرمِ

حلفتُ بمُبدعِ الدُّنيا وبارى الخلْقِ والنَّسَمِ

لقد ظلموكِ يا لُبنى وَمَا قَسَمى بمتّهَمِ

لبنى : سمعتُ بأُذْنَىَ اليومَ وكنتُ إخالُ من قِدَمِ

أرى أبويْكَ نالانى بجرحٍ غيرِ مُلتئمِ

أبوك تَخِذْتُ منه أباً فأمسَى وَهو مُهتَضمِى(١)

وَأُمَّكَ قلتُهَا أُمّاً فعادَتْنى بلا جرُمِ

هما ظلَمَا وما عدَلا وَفَيْتُ فضيَّعا ذمِمى

لأجلكَ يا شقيقَ النفسِ لم أعْتبْ ولمْ أَلُمِ

صبَرْتُ وفى سبيل رضاكَ ما ألقى من الألمِ

(١) المغتصب الظالم .

ذريح في نجد : يا قيسُ خذْها من أبيكَ صريحةً
لا ظالمٌ فيها ولا هو أجْنَفُ (١)
إن شئتَ فاخترْ والديْك كليهما
أو شئتَ فاخترْها ، فذاك الموقفُ
قيس : أبتي ! أراك أثرتَ أمراً فادحاً
يَهْوِي ببيْتينا - الغداةَ - ويعصِفُ
خَيَّرتني أمرين ! ذاك خيانةٌ
ما تُستطاع ، وذا عقوقٌ مُسرفُ
أبتي ! أظنُّك لا تجِدُّ فليس في
قُدُسِ الأبوةِ غِلْظةٌ وتعسُّفُ؟
أبتي ! أتنزعُ أضلعاً من أضلعٍ
أبتي ! أتُحرقُ مهجتيْن وتُتْلِفُ؟
أم قيس : يا قيس سرِّحْها (٢) فإنك واجدٌ
أخرى تَقَرُّ بها ، وربُّك مُخلفُ

(١) الأجنف : المنحرف الجائر . (٢) التسريح : الطلاق .

هبطت علينا كالفِراقِ ولم تزلْ
تَسعى إلينا بالشقاءِ وتَدْلِفُ
يا قيسُ أنصفْ والديك بتركِها
لا زلتَ تُكرمُ والديْك وتُنصفُ
عامر : يا أُمَّ قيس ما أشرتِ بصالحٍ
فيما طلبتِ ولا رأيتِ صوابا
أيروعُ زوجتَه ويهـدمُ بيته
أملٌ تعلّق بالخيالِ وخابا
أماهُ جُرتِ ، وأنتَ ياعمِّ اشتّدْ
خافا حسـاباً فادحاً وعقابا
أشجع : أحسنتَ عامرُ قد أبنْتَ عن الذى
نرضاهُ شيباً فى الحى وشَبابا
إنا لَنُكْبِرُهَا ونعلمُ أنها
رفَّتْ(١) شِهاباً بيننا وسَحابا

(١) رف : تألق أو اهتز .

لا عيبَ فيها غيرُ خُلْق كامل
أرأيتَ من نقَصَ الكمالَ وعابا ؟

عامر : أشقى الورى من فضَّ شملا جامعاً
أو باتَ يَنْعَقُ فى البيوتِ غُرابا

ذريح : يا بُنَىَّ أخى حادَدْتُما[1] وبغيتُما
والبغىُ مَرْتعُه الغداةَ وخيمُ
سفَّهتمانا ظالمَيْنِ وهكذا
يرمى لئيمٌ أهلَهُ وزنيمُ[2]
قيسٌ أبرُّ بوالديه فأمسكا
ما كان يُغضبُ والدَيْه كريمُ

أم قيس : يا قيسُ مالُ أبيك مالٌ غامرٌ
وثَراؤه فى الكابرينَ عميمُ
يا قيسُ أنت وحيدُنا لحياتنا
ليست إذنْ إلا عليك تقومُ

(١) حاده : غاضبه وعاداه . (٢) الزنيم : الدعى الدنىء .

ذريح : قد كنتَ يا ابنى لاعدِمْتُكَ خُطوةً
من برزخ (١) الأخرى وأنتَ سقيمُ
فلأنْ قَضيتَ بغير ما خَلْفٍ هوى
بيتٌ له التبجيـــلُ والتكريمُ
يا قيسُ سرِّحْهـــا ودونَكَ غيرَها
هيهات تصلحُ للرجال عقيمُ

(تبدر من الجميع ضجة استنكار وتبرم وتنشج لبنى بالبكاء)

لبنى : ياربِّ هـذا ما قضيتَ فليس لى
فى العقْمِ من ذنبٍ وأنتَ عليمُ
زعموا قضاءَكَ تُهمةً فتألبوا
هـــذى تُعيِّرنى وذاك يلومُ
ياربِّ تعـــلمُ أننى صانعتُهُم
والقلبُ منهم مُثخنٌ (٢) مكلومُ
وبغوْا فلمـا قلتُ يا نفسُ اصبرى
غضبَ الظلومُ وعُوتبَ المظلومُ

(١) البرزخ : هنا هو الحاجز ما بين الدنيا والآخرة . (٢) المثخن : المجروح أشد الجراح

يا قيسُ فافعلْ ما أُمرتَ وخلِّنى
فالعيشُ فى هٰـذا الشقاقِ جحيمُ

قيس : لا والذى أجرى غرامَكِ فى دمى
إنِّى إذنْ نَزْرُ الوفاءِ لئيمُ
قالوا : عقيمٌ . قلتُ : منْ ؟ ! هىَ أم أنا ؟
لا الطبُّ يَدريهِ ولا التنجيمُ
إن تُنْجِبِى فأنا لعهدِك حافظٌ
أو لا فحُبُّـك قاهرٌ ومقيمُ

ذريح (فى غضب) : يا قيسُ هل هذا جوابُكَ نبِّنى

قيس : أبتاهُ كنْ عونى فأنت رحيمُ
مُرْنى أُطعْك فما عصيتُكَ مرةً
أبَتــاهُ لكن ما طلبتَ عظيمُ
ما كانَ قلبُك صخرةً فتَسومنى
هذا العـذابَ وإنه لأليمُ

(يشتد بكاء لبنى ويعلو)

قيس : تبكين يا لبنى . عهدتُك حرّةً
في حنو وتحد
تَلْقى الأذاةَ وغيظُها مكظُومُ
قومى لِعُشِّك فاملأيه نضارةً
كالروض باكَرَهُ ندًى ونسيمُ
فإذا حَلَلْتِ به رَوِيتُ هناءةً
وإذا هجرتِ فإنّنى المحرومُ
ما عشتُ إلا فى هواكِ وإنهُ
لَهَوًى تغلغلَ فى الضلوعِ قديمُ
لى من حنوِّكِ رحمةٌ تترى، ولى
من فيضِ عطفِك نضرةٌ ونَعيمُ
(تخرج لبنى متحاملة ومعها عزة ومطيع)
ذريح : إنِّى أراكَ ركبتَ رأسَك جامحاً
فى شىء من المصانعة والهدوء
وحزَمْتَ أمَرك ضِلّةً وسِفاها (١)
إنْ كنتَ قيسُ تَعفُّ عن تسريحها
فاجمعْ لها أُخْرى وضُمّ سواها

(١) السفاه : خفة فى العقل .

لَسْنَا لِلُبنى كارهِيْن وإنمـــا
نَبغى صـــلاحَ أمورِنا وهُداها

أُم قيس : لا بل تُسرحُها فما من خُطةٍ
يا قيسُ غيرُ طلاقِهـا نرضاها
أبواكَ قد كَـبِرا فلا تُرهِقْهُما
عَنَتـاً ، وأرْضِهما فتُرضِ اللهَ

قيس : هلْ تذكرينَ اللهَ؟.. إنَّ اللهَ لمْ
يأمُرْ بأَنْ تَرِدَ النفوسُ رَداها
لم يشرعِ اللهُ الطلاقَ لغايةٍ
حمقـاءَ روَّاها الهوى وغذاها
اللهُ قد شرعَ الطلاقَ تَحـرُّزاً
من بِغْضةٍ وشقاوةٍ يأباها
أبوىَّ حسبُكما فلستُ بفاعلٍ
ولئن فعلتُ فإننى أشـــقاها

ذريح : يا قيسُ ! لو نَحَّيْتَ وجدَك جانباً
لعلمتَ أنّى النـاصحُ المتبصرُ

باللهِ يا ولدِى بعيشِك بالذى
أُبديهِ من حَدَبٍ عليك وأُضمِرُ

بمحبةٍ مكنونةٍ لكَ فى دمى
كادتْ تسيلُ من الحنانِ وتَقْطُرُ

مِنّى عقدتُ عليك من عهد الصِّبا
ما زلتَ تَكْبُرُ كالهلالِ فتكبرُ

ما جئتُ عُشَّكَ هادماً مُتجنياً
الأمرُ يا ابنَ دمى أجلُّ وأخطرُ

البيت يأْمُلُ منك نسلاً صالحاً
تَمضى فيخلُفنا عليه فيعمُرُ

ويذود عن أحسابِه ونصابِه (١)
ويُقلِّدُ المِنَنَ الكرامَ ويؤثرُ

---

(١) النصاب : الشرف والسؤدد .

قيس : أبتاهُ ! ليس النسلُ طوعَ مشيئةٍ
للنـاسِ ، بل هو قد علمتَ مقـدّرُ
همْى بنيتُ بأربـعٍ فبأربعٍ
الرزقُ فى لوحِ السماءِ مسـطّرُ
ما كان فى مَطْوِىٍّ سابقٍ علمِـه
تتغـيّرُ الدنيــــا ولا يتغيرُ
أم قيس : يا قيسُ ! حاولْ وارْجُ ، رُبَّ محاولٍ
يسعى لمطْلَبِـه العصِىِّ فيظْفَـرُ
ليسَ التشاؤمُ فى الحيـــاة ذريعةً
لبلوغ ما تَهوى النفوسُ وتؤثِرُ
(يدنو أشجع وعامر من قيس)
ذريح : يا قيسُ ! لا تسمعْ لفتْيانِ الحمى
قد حرّضوكَ على الضلالِ وغرّروا
إن شئتَ فاستَفْتِ القبيلةَ تُلْفِـهم
نفضوا لك الحقَّ الصُّراحَ وأظهروا
أشياخُهـا يا قيسُ إما عاتبٌ
أم قيس : أو لائمٌ أو مُنكرٌ متـــذمرُ

زريح : الناسُ تُكْوَى يا بنىَّ تداوياً
ولربَّ مَكوىٍّ يصحُ فيشكُرُ

فاجْرَعْ دواءك راشداً مُتوكلا
فالرشدُ أولى بالكرامِ وأَجدرُ

قيس : أبتاه ! تدعونى لرشدِ ظالمٍ
والرشدُ عندى رحمةٌ تتفجرُ

ومحبةٌ يَسقى الوفاءُ أصولَها
بدم الفؤادِ ، وذِمةٌ لا تُخفَرُ

هَبْنى أتيتُكَ بالبنينَ خلائفاً
كم وارثى فضلٍ بغَوْا وتجبَّروا

خَلَفوا على شرفِ الأصولِ فضيّعوا
وتسلّموا مجدَ القرونِ فدمَّروا !

أبتاهُ ! قلتَ : العقلُ يحكمُ بيننا
العقلُ يأبى والمروءةُ تُنكرُ

ذريح : أبشرْ إذنْ بفضيحةٍ ملْء الدُّنا
في هياج شديد وانفعال
يَفْنَى الزمانُ وعارُها يتجدَّدُ

لن تحتوينــا أربُعٌ ومنــازلٌ
باتت تَضُمُّكمو فقَرُّوا واسعَدُوا

أمّ قيس : فإذا أظلَّكمو النعيمُ بوارفٍ ...
فبنانَ ظلَّلنـا الشقاءُ الأنكدُ (١)

وإذا غفوْتم بين أحضانِ الهوى
بتنـا ونحنُ الواصبون (٢) السُّهَّدُ

ذريح : سنظلُّ ننتعلُ الرمالَ على الطَّوى
عانين نُهيمُ في البــلاد ونُنجِـدُ

(يظهر الاعياء على قيس فيستند إلى أصدقائه)

مستمراً : نَرِدُ القبائلَ والقُرى (٣) نشكو لها
أم قيس : وبكلِّ ذي أُكرومةٍ نستنجِـدُ

---

(١) الأنكد : الشؤم العسر . (٢) القلقون . (٣) القرية : البلد الكبير والمراد هنا أهل القرى .

ذريح : يا قيسُ أنت أثرتَها ناراً على أهْليكَ لا تَهْدا ولا هيَ تخمُدُ

ياقيس عدْللعقلِ

أم قيس : وارحمْ ضعفَنا

ذريح : فإذا أبيتَ فإن موعدَنا غدُ

(يتهيأ ذريح وزوجته وعائلته للخروج)

قيس : أبي ! تَريَّثْ

ذريح : بلْ تريثْ أنتـــــا

رَوِيتَ طيْشاً ونضحتَ أمْتـا (١)

وكانَ عارَ الدهرِ ما أبرمتا

قيس : أمّـاهُ !

أم قيس : لستُ أمَّ من أراهُ . . . .
في بكاء وثورة

حطَّم شيخاً لم يلدْ ســـواهُ

وحقَّرَ الشـدىَ الذى غـــذَّاهُ

(يخرجون ويشتد إعياء قيس)

العراف : قد كانَ واللهِ بخيرِ حالِ

---

(١) الأمت : العوج .

فظلَّ فى مُضْنٍ من النضالِ
حتى عَدَتْهُ نضرةُ الإبلالِ

قيس للعراف : رأيَك فابذلْ أيها الطبيبُ
قد زَلزلتْ ألبابَنا الخطوبُ
إن المصابَ قلَّما يُصيبُ

العراف : أمران كالهلاكِ والثبورِ
قد عظُمَ الرُّزءُ عن التدبيرِ
وأُشكلَ الرأىُ على المشيرِ

قيس : اللهَ فى نعيمىَ المُنهالِ

عامر : يا قيسُ لُذْ بجلدِ الرجالِ
وقم فسلْ ربَّك ذا الجلالِ
يَعْصِمْك من مزالقِ الجُهَّالِ
ويَهْدِك السبيلَ للكمالِ

قيس : أينَ الكمالُ ! هل من الكمالِ
تَرْكِىَ أمى وأبى وآلى

بينَ يدِ التشْريدِ والإذلالِ
وهُزُواً لشـــــامتٍ وقالِ
ذلكَ جرحٌ غـيرُ ذى اندمالِ

قيس : إنْ ذهبتْ لُبـــنى فرأسُ مالى
مستمراً
ومعقـــــدُ الرجاءِ والآمالِ
وكعبةُ الأحْــــلامِ والخيـالِ
وَإنَّهُ لَأَبعـــدُ المُحـــالِ

مستمراً فى يأس : ما زالتْ الأيّامُ والليـــــالى
تَصْبَحُنى باليُمـــن والإقبـالِ
حتى رمتنى اليومَ بالأهوالِ
كأنَّهـا بواذخُ الجبـــــالِ

(يجلس مستضعفاً ويغشى عليـــه)

أشجع : ماذا دهـــاهُ ؟
فى عطف

العراف : غَشْــــيةٌ تمُرُّ

عامر : هل من علاجٍ ؟

العراف : العـــــلاجُ مُرُّ
فى خطورة

قد يدفعُ الشرَّ الغـــداةَ الشرُّ
الداءُ طاغٍ والدواءُ البـــترُ
قيس : وقد أفاق فى إعياء البترُ ؟ ! أىُّ البـــترِ يا رفاق
عامر : فى احتراس وحيرة لعـلَّهُ يَكْنِى عن الفراقِ
أشجع : بل قلْ ولا تَوْجَلْ : عن : الطلاقِ
قيس : ويلُ الشجىِّ من خلىٍّ سالِ
مالى تَغشَّانى الخَبَـــالُ مالى
أشعرُ بالإعيـــاءِ والكلالِ
وبالردى يَدِبُّ فى أوصالى
تداركونى وقفوا أحوالى(١)
قد فَدَحَ الخطبُ عن احتمالى
لاتذكروا لى أبغضَ الحلال (٢)
ستـــار

(١) أى : قفوا حولى (٢) أبغض الحلال عند الله الطلاق « حديث شريف »

الفصل الثالث

المنظر الاول

(صحراء فيها بعض النخيل وقد جلس فى جوار النخيل راعيان أحدهما يغنى والآخر يعزف الناى)
(الوقت عند الغروب . يعزف الناى عند رفع الستار بعض الوقت . ثم يبدأ المغنى :)

المغنى : كَبِدٌ غيرُ بارحٍ ما ألاقى   ما أرانى أُطيقهُ يا رفاقى
ولقد هدَّنى وزلزلَ لُبِّى   فَرَقٌ من دنوِّ يومِ الفراقِ
مَنْ رسولى لها ببثِّى ووجدى   وحنينى ولوعتى واشتياقى
من رَسولى لها بألحانِ قلبٍ   حافظِ العهدِ والهٍ خفَّاقِ
يَتَنَزَّى(١) تحتَ الضلوعِ ويبكى   بدمٍ من صميمهِ مهراقِ
كلَّما لجَّتِ الصبابةُ بالعشَّا   قِ ضَجَّ المسكينُ بالأشواقِ

(يبدو قيس متهالكا ويكون قد ظهر على المسرح منذ لحظات)
(يقف منصتاً إلى الشادى فى شىء من الذهول)

قيس : مَنْ ذا أرَى ؟

صاحب الناى : راعيانِ

قيس : للهِ ماتُنْشِدانِ ؟

---

(١) يتنزى : يتحرك فى ألم .

أتَبكيانِ حبيباً ؟ لشدَّ ما هِجْتُمانى

المغنى : لا بل أغنِّى وترْبى لحنَ الأسى والغُروبِ

أما ترى الشمسَ تَهْوِى مُصْفَرَّةً للمغيبِ

والكونُ يُزجى إليها نُفَاثَةَ المنكوبِ

نُفَاثَةً من حبيبٍ يَهْذى بفقدِ حبيبِ

قيس : يا صاحبيَّ ابكيا لى بلْ رجِّعا وابكيانى

في صوت متهدج هذا الذى تُنْشدانِ من أدمعى وبيانى

النايُ لا شكَّ نايِى واللحْنُ من ألحانى

المغنى لصاحبه: رَوِّحْ عليه بلحنٍ يُرِقْ عَصِيَّ دموعِهْ

أراهُ أوشكَ يَفْنى فى شَجْوِهِ وَوُلُوعِهْ

(صاحبُ الناى يعزف على الناى نغماً حزيناً)

قيس : يا صاحبَ النايِ ماذا هِجْتَ فى كبدى

من لاعجٍ يترامى فى حَناياها

هل كانَ نايُكَ يدرى ما أكابدُه

من لوعةٍ فرواها ثُمَّ غنَّاها

كُنا على رفرفِ الدُّنيا وأيْكَتها
تُظِلُّنا نَشْوَةُ الدنيا ونُعْماها
والدارُ حاليةُ الأعطافِ جامعةٌ
تُشعُّ فيها السَّنى والسعدَ لُبناها
أيامُها تجمعُ الآمالَ مُشرقةً
وتَحمِلُ الرِفْهَ مُخْضَلاً عَشاياها
حتى انتبهْنا على نكباءَ ماتَرَكَتْ
من فرحةِ العمرِ إلا حَرَّ ذِكْراها
(ثم يستطرد فى شىء من الذهول)
يا مُنيةَ النفسِ ما نفسى بناجيةٍ
والنارُ فى جنباتِ الصدرِ تَغْشاها
تَبيتُ تودعُ سمعَ الليلِ عاطفةً
مشبوبةً وتبثُّ الليلَ نجواها
رُدِّى علَّ ليالىَّ التى سلفتْ
لله ماكانَ أغلاها وأحلاها

المغنى : من ذا تكونُ أجنْبا ؟

صاحب الناى : أجبْ ولا تُخَفْ شيَّا

قيس : أنا ضحيَّةُ نفسى جهلا وحُمقاً وغَيَّا

نعيم عيشى وعشّى هدمته بيديّا

(يخرج قيس متحاملا على نفسه)

صاحب الناى : يا ويحه من شقىٍّ ومن طليحٍ [1] معنًّى

إن لم يَخُنِّى حَدْسى فإنه « قيس لُبنَى »



(١) الطليح : المهزول المتعب .

الفصل الثالث

المنظر الثاني

(فى حى بنى ليث بن بكر أيضاً . خيام لبنى التى قضت فيهـا مدة عدتها بعد طلاقها .. جلبة وضجة مما تصحب عادة الاستعداد للسفر)

(طارق .. أشجع .. عامر .. مالك ..)

المشهد الأول

طارق : أبنى كنانةَ ما رعيْتم صِهْرَنا[1] — بل كنتمو حرْباً عليه عَوَانا

ما كان قومى الراغبين وإنما — أَمَرَ الحسينُ فأذعنوا إذعانا

من أجلهِ خرجوا على مأثورِهم — وَرَضُوكمُ الأصهارَ والخُلصانا

ما كان أنصَفَكم لنا فرددتمو — فى جفوةٍ إحساننَا كُفرانا

أشجع : هو ما تقولُ فلا تزدْ آلامَنَا — ألماً ولا أشجاننَـا أشجانا

قَدَرٌ جرى ما إنْ له من دافعٍ — حَطَمَ القلوبَ وفرّقَ الإخوانا

وهوى الغداةَ بأنسِ بيتٍ ناعمٍ — فكأنْ مُشْرِقَ أُنسِـه ما كانا

لبنى ! رعاكِ اللهُ من مَظلومةٍ — ما كنتِ إلا رحمةً وحنانا

(١) الصهر : النسب والمصاهرة .

مالك : لَمَ تفهموا لُبنى فهانتْ عندكم ولَطالما جُهِلَ النُّضارُ فهانا
سرَّحتموها مُعتدين وما اعتدتْ وكسوتموها ذِلَّةً وهوانا

عامر : إن ترتحِلْ لُبنى فليس براحلِ ذكرٌ كأفواف الرُّبا ألوانا
أو ننْسَ لا ننسى عوارفَ حُرةٍ كانت نعيمَ رُبوعنا وحمانا
من قاصراتِ الطرف(١) زيَّن فضلَها خُلُقٌ كآراد(٢) الضحى لمعانا

المشهد الثانى

(يظهر الحباب قادماً من ناحية الخيام)

الحباب : آن وقتُ الرحيل يا قومُ فامضوا فالمطايا مزمومةٌ(٣) والعيسُ
ودِّعوا الحيَّ من بنى الليثِ ما نـــرحلُ إلا وودُّنا مغروسُ
لا يبيعُ الرجالَ إلا دنىٌّ أو يردُّ المعروفَ إلا الخسيسُ

أشجع : هذه يا حبابُ كُبرَى المآسى ليس من دافعٍ لها أو آسِ
منزلٌ كان آمناً مطمئناً ومُقاماً للبشر والإيناسِ
تتراءى فيه لقيسٍ ولُبنى كلَّ يومٍ مواكبُ الأعراسِ

(١) قاصرة الطرف : من قصرت نظرها وقلبها على زوجها (٢) جمع رأد الضحى : وهو ارتفاعه
(٣) وضعت لها الأزمة ، فهى معدة .

مشت الحادثاتُ فيه فلم تتـــركْهُ إلا كالأربُعِ الأدراسِ
إيه ياقيسُ أىَّ بؤسٍ تَذَوَّقْتَ وأىَّ الخطوبِ بتَّ تُقاسى ؟
لَهف نفسى عليك فى ظُلَمِ الأقـــدارِ تَهْوى وفى طِباقِ الياسِ

الحباب : ويْك ماذا تقول ماذا بقيسٍ أىَّ بؤسٍ يلقى وأىَّ شقاءِ
أتُراهُ يبيتُ يصطنعُ الوجْـــدَ على فَعْلةٍ له شــنعاءِ
بيديه يُلقى بأبياتهِ النـا رَويشكو.ياللكذوبالمرائى

أشجع : يا بنَ كعبٍ أراكَ تظلم قيساً إنه أجدَرُ الورى بالرثاءِ
يابنْ كَعْبٍ سلِ القبائلَ والأحـــياءَ تُنْبِئْكَ أعجبَ الأنباءِ
سامَهُ الخسْفَ فادحاً أبواهُ ياالَظُلمِ الآباءِ للأبناءِ
نغَّصا عيشَه الهنىَّ فأمسى يتردَّى فى شِقْوةٍ وعَناءِ
ضربا فى البلادِ يلتمسانِ العـــوْنَ عند السَّراةِ والكُبراءِ
شفَّعا آلَ هاشمٍ وبنى حر بٍ وآلَ الزُّبيْرِ فى الشفعاءِ
فتأبَّى قيسٌ ، وقالَ : معاذَ اللهِ هذا خَتْلٌ وسوءُ جزاءِ
أفتدرى ماذا جرَى بعد هذا ؟

عامر : مُضحكاتٌ مُثيرةٌ للبكاءِ

أقسما جاهدين أن يهجُرَا الحـــيَّ جميعاً ويخرُجا للعَـراءِ
وأقاما يُعرِّضـانِ لحرِّ الشـمسِ جسمينِ آذنا بالفَناءِ
ثم زادا فأوْشكا يقتلان النـفسَ جوعاً وأمعنا في الهُذاءِ
وَرَأى قيسُ أن يهيِّئَ بالصبر سبيلا لدفْع هذا البلاءِ
لم يُقدِّرْ أن الكراهةَ والغيْـرَةَ والحقدَ ما لها من دواءِ ...

أشجع : هكذا يا حبابُ حطَّمَ قيسٌ قَلْبَه بين صَحْوةٍ ومساءِ
عامر : ورمى عشّهُ السعيدَ ببيْنٍ وشَتَاتٍ في ساعةٍ نَكْراءِ

المشهد الثالث

(يدخل مطيع . . .)

الحباب : مطيعٌ ! ما وراءَكَ يا مطيعُ ؟
وقد رأى مطيعاً

مطيع : ورائي البثُّ والخطبُ الفظيعُ
ورائيَ مُستطارُ اللبِّ باكٍ تَحيَّرُ في محاجرِه الدموعُ
تماسكَ ما تماسكَ ثم ألْوى بِشَبْتِ جنانِه البيْنُ المَروعُ
أضاعَ رشادَهُ شملٌ مضاعٌ وَزَلزل قلبَه أملٌ صريعُ

وقلتُ له : اتئد ياقيسُ واصبرْ　　فقال : وهل تَرانىَ أستطيعُ
أيصبرُ عن لجيعتِه لديغٌ　　جرى بدمائه السمُّ النقيعُ
معاذَ اللهِ ما صبرٌ بِمُجْدٍ　　وقد هُدِمتْ على القلبِ الضلوعُ

مالك : أما آن الرحيلُ ؟ فقد أتمت　　على اسم اللهِ أُهْبَتَها الجموعُ
(فى تبرم)
فهل نبقى لنسمعَ تُرَّهاتٍ　　وأنباءً تُزخرفُ يا مُطيعُ
حكَمْنا غربَ أنفسِنا طويلاً　　وأخشى الصبرُ ينفدُ أو يضيعُ

الحباب : صدقتَ ولم تقلْ إلا صواباً　　فهذا الحزمُ والرأىُ الجميعُ
سلامٌ يا بنى ليثِ بن بكرٍ　　فإنَّ الركبَ آنَ لَهُ الرجوعُ

(يتأهبون للخروج فى ضجة ظاهرة . وفى أثناء ذلك يسمع صوت قيس من خارج المسرح)

قيس : (يقولونَ لُبنى فتنةٌ كنتَ قبلَها
بخيرٍ فلا تنـدمْ عليها وطَلِّقِ)(١)
(فطاوعتُ أعدائى وعاصيْتُ ناصحى
وأقررتُ عينَ الشـامتِ المتملِّقِ)
(ودِدتُ وبيتِ اللهِ أنِّى عصَيتُهم
وحمِّلت فى رِضوانها كلَّ موثقِ)

---

(١) هذه الأبيات الثلاثة التى بين الاقواس من شعر قيس بن ذريح .

مالك : أيَغْشَى حمى لُبنى ويرتادُ رَبْعَها

للحباب فى غضب

إذنْ هو فى مُرْدٍ من الغَيِّ مُوبقِ

أيحسَبُنا فى أرضِهم لا نذودُهم

إذا طالعونا بالهوانِ ونتّقى

فقولا له يرجعْ ويُمسكْ دموعَه

لقد نَضَتْ(1) الأخلاقُ زيْفَ التخلُّقِ

(يدخل قيس ساهماً مندفعاً فيلتفت له الجميع فى دهشة وقلق)

قيس : أطوفُ على أبياتِ لُبنى تدعُّنى (2)

مستمراً كأنه لا يرى شيئاً

إليها لُباناتُ الفؤادِ المُمزَّقِ

أُعلِّلُ نفسى باللقاءِ فما أرَى . . .

سوى الندمِ اليقظانِ باليأسِ يلتقى

مَلاعبُ من لُبنى إذا ما لمحتها

تهالكتُ فى طاغٍ من الوجد مُطبقِ

تُذَكِّرُنى أفناؤُها وعِراصُها

بمُبتسمٍ طَلْقٍ من العيشِ مونقِ

(1) كشفت . (2) تدع : تدفع فى شدة .

فما طَعِـمَت عيناىَ من بعدِها الـكرى

ومن يذُقِ الأمرَ الذى ذقتُ يأْرقِ

ويا دارَها بينى وبينَـــكِ خَطوةٌ

أراكِ ولـكنْ كالسرابِ المُلفقِ

فديتُك من عشٍّ رمى الدهرُ طَيرَه

بسهمينِ من بثٍّ وبينٍ مفرِّقِ

أمانىُّ من لُبنى وما تنفعُ المُنى

إذا عَرَضَ المقدارُ دون التحقُّقِ

كأنِّى بآمالى الغـــداةَ مُغرِّبٌ

أُصوِّبُ فى أعقابِ ركبٍ مُشرِّقِ

جنيتُ على نفسى فيا قلبىَ احترقْ

ويا كبدى ذوبى ويا عينىَ اغرقى

(عامر وأنجم يتجهان الى قيس)

عامر : ويْك يا قيسُ قد أتيتَ عظيماً أىُّ جهلٍ وأىُّ خُرْقٍ أتى بِكْ

نحن ندرى يا قيسُ ما تتردَّى فيه من مِحْنةٍ ونقدرُ ما بِكْ

غيرَ أنَّا نرى مجيئكَ يا قيـــــسُ مثيراً ومُذكياً لعذابِكْ
راجع الصبرَ يا ابنَ عَمِّى وارجعْ ليسَ كالصبرِ مُجدياً فى مُصابِكْ

قيس : إيه يا عامرُ المُرَجَّى أجبْنى وقل الحقَّ لا تَرُغْ فى جوابِكْ
كيفَ تحيا وكيفَ تَطْعَمُ صبراً إن رماكَ الزمانُ فى أحبابِكْ
وعدا الدهر كالعقابِ فألوى فى مدى ومضةٍ بحُلم شبابِكْ
وتلفتَّ لم تجدْ خُـلَّةَ النفـــسِ تُشيِّعُ الحياةَ فى محرابِكْ

أشجع : قدْكَ يا قيسُ أهلُ لُبنى غضابٌ دارهم لا تُمِـضَّهم باقترابِكْ
هم علينا أعزةٌ ، بيدَ أن الـــحىَّ قد يُستثار من إغضابِكْ
لا تَهِجْها يا قيسُ شعواءَ وارجعْ إنما الرأىُ والنُّهَى فى إيابِكْ

قيس : إنما الرأىُ للذى يملكُ الرأْ ىَ فدعنى وعافنى من عتابِكْ

(يتقدم مطيع محاولا معهما إقناع قيس فى الرجوع)

(مالك وطارق فى ناحية أخرى يتحدثان فى حدة وتبدر منهما إشارات فيها توعد ومجاهرة بالعداوة . يظهر الحباب فى صورة من يحاول ضبط نفسه)

مطيع : قيسُ عدْ للأناةِ قد نفـذَ المقْـــدورُ لا دافعٌ له أو واقِ
وتماسكْ إن التماسُكَ للأحْداثِ من شيمةِ الأصولِ العِتاقِ

قيس : كَبَدٌ غيرُ بارحٍ ما أُلاقى ما أرانى أُطيقهُ يا رفاقى
ضِقْتُ ذَرعاً بمهجةٍ تَداعى وجراحٍ بعيدةِ الأعماقِ
وجُفونٍ مُوَطَّناتٍ على السُّهدِ ودمعٍ كالوابلِ الغيداقِ (١)
ولهيبٍ بين الترائبِ والصُّلْــبِ له لَفْحَةٌ وعندَ التراقى
وتباريحِ ذكرياتٍ مواضٍ نبَّهتهن ذكرياتٌ بواقِ

مالك لطارق فى استهزاء : أفبعدَ الطلاقِ يبكى ! لقد كانَ جليدَ الفؤادِ قبلَ الطلاقِ
ليس هذا دَمْعَ الندامةِ ياقيــسُ ولكنّها دموعُ النفاقِ

قيس مستمراً دون أن يلق بالاً إلى مالك : ولقد هدَّنى وزلزلَ لُبى فَرَقٌ من دنوِّ يوم الفراقِ
من رسولى لها ببثّى ووجدى وحنينى ولوعتى واشتياقى ؟
من رسولى لها بألحانِ قلب حافظِ العهدِ والهِ خفّاقِ ؟
يَتَنزّى تحت الضلوعِ ويبكى بدمٍ من صميمه مُهَراقِ
كلّما لجّت الصبابةُ بالعشّاقِ ضجَّ المسكينُ بالأشواقِ

(يتخلص قيس من بنى عمه ومن مطيع ثم يتجه نحو الخيام
فى خطوات مضطربة . . طارق ومالك يقفان فى طريقه)

---

(١) الغيداق : الكثير الماء والانهمار .

طارق : ألا تنتهي ياقيسُ

مالك : ما أنت صانعُ ؟

طارق : فهذي بيوتٌ حرّمتْ ومرابعُ

سيرحلُ عنها الساكنوها وفي غد

سَتُصبحُ وهي المُقفراتُ البلاقعُ

قيس : حنانيك ماذا قلت يا طارقُ اتئدْ

أتزمعُ لُبنى البينَ

طارق : فالبينُ واقعُ

ستسكنُ غضبى ما يَقرُّ قرارُها

ويرتاحُ ذو حقدٍ ويهدأ نازعُ (١)

أبى اللهُ إلا أن تُبتَّ وشائجٌ (٢)

وليسَ لما يَقْضى به اللهُ دافعُ

قيس : أحقٌّ أبا لُبنى لبينٍ تَهيَّأُوا . . .

للحباب في ضراعة

فذلك فدّاحٌ من الخطبِ فاجعُ

(١) الاشاره هنا لأبوى قيس . (٢) جمع وشيجة ، وهي : العلاقة .

وإنِّى ولُبنى إن ترامت بها النوَى

لكالعَيْن أمسى نورُها وهو ضائعُ

أأملأُ منها ناظرىَّ فربمــا

تخفَّفَ محزونٌ وأقصرَ جازعُ

مالك في حدة : أتمـلأُ منهـا ناظريكَ فدونَها

أخو غمــراتٍ للحفيظةِ مانعُ

كَمِىٌّ إذا ما استلَّ سيفاً تسابقتْ

إليه القنـا والمرهفاتُ القواطعُ

بأيدى مطاعين[1] لهم حيث قارعوا

مقاتلُ فى أعدائهم ومصارعُ . . .

(يستل سيفه ويتهيأ للقتال ، وكذلك يفعل أشجع وطارق وعامر . يقف أشجع وعامر إلى جانب قيس . الحباب ومطيع يحاولان منع بعض الفريقين عن بعض ، وقيس واجم كأنه لايعى)

أشجـع : بَغَيْتَ ولم تُنصفْ فما أنت غاضبٌ
لمالك للُبنَى

عامر : ولـكن أنت للحقد خاضعُ

(١) المطاعين : الأشداء فى الطعن .

أشجع : رأيناكَ مذ أقبلتَ تُبْدى عداوةً . .
لنا ، وتَهيجُ الشرَّ والشرُّ هاجعُ

عامر : تريثْ وردُّ السيفَ للغمدِ والتمسْ
لنفسكَ منجاةً وخدُّك ضارعُ (1)

مالك : ستشهدُها ليثُ بنُ بكرٍ كريهةً
يُباكرُهم فيها الردى ويطالعُ
سأُغمدُ سيفى فى صدورٍ وأقلُبٍ (2)
وحرِّ رؤوسٍ فانكصوا أو فدافعوا

(يحاول الفريقان الهجوم بعضهم على بعض . تزداد الضجة وقعقعة السلاح . .)

مالك : بغاةٌ

عامر : لك الويلاتُ

الحباب : كفُّوا بنى أخى

أشجع : فذرْنا لقد ذلَّ الحليمُ المصانعُ

(تخرج لبنى من خبائها بادية الاضطراب . . يضطرب قيس ويعتمد على مطيع)

لبنى : بنى العمِّ . عودوا للأناةِ ، وأرجعوا
لأغمادِها هذى السيوفَ وراجعوا

(1) وخدك ضارع ، أى : ذليل . (2) جمع قلب .

مالك : دَعينا نُقَوِّمْ بالمواضى اعوجاجَهم

فما أدَّبتْ إلا المواضى اللوامعُ

لبنى : ويا مالكُ استمسكْ بحلم ونُهْيَةٍ (١)

فإنكَ ما تدرى الذى أنتَ صانعُ

أتُشعلها شعواءَ نَصْلى لهيبهَا

وتمشى المنـــايا خلفَها والقوارعُ

أنَرْزأُ إخواناً ونرمى صحابةً

أما من قديمِ الصِّهرِ يا قومُ شافعُ

أفيئوا فإن كانتْ قد انشقَّت العصا (٢)

فما العهدُ مَنْسىٌّ ولا الودُّ ضائعُ

قيس : ألبناىَ مرأى العينِ ؟ أمْ أنا ذاهلٌ

فلا أنا رائيها ولا أنا سامعُ

وإلاَّ تكن لُبنى فما لى مُرَوَّعا ...

كما ضلَّ حادٍ ناوحته (٣) الزعازعُ

(١) النهية : العقل، والجمع : نهى (٢) وقع الخلاف والتفرق . (٣) هبت من جميع النواحى .

وما بالُ قلبي قد تضعضعَ ركنُه
كما انهار مَرْمِىٌّ الجناحين واقعُ

الحباب : تجلدْ فقد جاوزتَ فى بثِّكَ المدى
لقيس فى شيء من الاشفاق
أما لكَ من ماثورِ فضلِك وازعُ ؟ ..

أتبكى على أشياء أنت اجترحتَها ؟
فما خُلقت للكابرينَ المدامعُ

(يتطامن الفريقان ويتهيأ الحباب ومن معه للخروج)

لبنى : عليكِ سلامُ الله أرضَ كنانةٍ
وَداعاً فهل تُرعَى لديكِ الودائعُ
نسيمُكِ ريحانٌ وتُربُكِ عنبرٌ
وزرعُكِ الوانٌ وماؤكِ ناقعُ
وصبحُك لألاءٌ المفاتنِ ساطعٌ
وليلُكِ مَوْشِيٌّ الجوانبِ رائعُ
وياعامرُ الغالى ، ويا أشجعُ اسلما
هو القَدَرُ الطاغى ، فمن ذا يدافعُ ؟!

فقولا له يَخضعْ لما هو كائنٌ

فما حسرةٌ تُجدى ولا البثُّ نافعُ

وهيهاتَ ما ماضٍ من العيش عائدٌ

ولا الأُمسياتُ الخالياتُ رواجعُ

(تخرج لبنى باكية وأهلها من ورائها فيحاول قيس أن يتبعها فيقف فى طريقه عامر وأشجع)

عامر : أخى قيسُ ! هذا ما قضى اللهُ فيكما

وإنَّ قضاءَ اللهِ يا قيسُ واقعُ

تحمَّلْ ولا تهلكْ أسًى رب آيسٍ

تداركَهُ فضلٌ من اللهِ واسعُ

قيس ذاهلا : (ويا قلبُ خبّرنى إذا شطَّت النوى

بلُبنى وزالت عنك ما أنت صانعُ) (1)

(أُقضِّى نهارى بالحديث وبالمُنى

ويجمعُنى والهمَّ بالليلِ جامعُ)

(نهارى نهارُ الناس حتى إذا دجَا

لِىَ الليلُ هزّتنى إليك المضاجعُ)

(1) هذه الابيات الأربعة التى بين الأقواس من مشهور شعر قيس بن ذريح .

عامر : (فلا تبكيَنْ فى إثر شى ندامةً

إذا نزعته من يديك النوازعُ)

الحباب : الركبُ للرواحِ مُستعدُّ
من خارج المسرح

يا حادىَ الركبِ حُثَّ واحْدُ

قد آنَ للمُفارقينَ العَوْدُ

(يسمع صوت الحادى وهو يحدو لركب لبنى عند ارتحاله)

الحادى : (أمزمعةٌ ليلى بِبَيْنٍ ولم تَمُتْ

كأَنك عما قد أظلّك غافلُ)(١)

(ستعلمُ إن شطّت بهم غربةُ النوى

وزالوا بليلى أن قلبَك زائلُ)

قيس : (صارخاً وقد لاح له الركب وهو قافل)

لُبنى . أزالوا بلبنى ؟ ماالعيشُ من غيرِ لُبنى ؟

(يهوى إلى الأرض متخـاذلا)

أشجع : أترى ما به ؟
لعامر

عامر : أكادُ أراهـا لُوثَةً خالطتْهُ تَفديهِ نفسى

(١) هذان البيتان من شعر المجنون .

أُشجع : يا أخي قيسُ !

قيس : أين قيسُ الذي تدعوهُ قد زالتِ الليالي بقيس

كنتُ في ناعمٍ من الدهر أُضحي وعلى مُونقٍ من العيش أُمسي

بين وشْيِ الهوى وفي حُلَلِ الرّفهِ ولُبنى راحي وروحي وأُنسي

أين روضي الذي سقيتُ بدمعي أينَ ظِلِّي الذي مددْتُ وغرسي

أين عشٌّ قضيتُ فيه ولُبنى سنواتٍ مرّتْ كليلةِ عُرسِ

زالَ عنه هزاره وجفاه فتداعى ما بين يومٍ وأمسِ

ياأخي أشجعُ الكريمُ وياعامرُ قد طمّت[1] الرزيئةُ كأسي

عللاني بالموت يَعصف بالمشبوبِ من لوعتي ويحسمُ يأسي

ذلكَ العالَمُ الفسيحُ المُدوِّي عادَ في ناظريَّ موحِشَ رمسِ

ما رماني رامٍ فأقتصَّ منه أنا نفسي الذي عصفتُ بنفسي

ستار

---

(١) طمت : ملأت .

الفصل الرابع

(ديار بنى كعب . مضارب خيام الحباب . فناء رحب أمام
الخيام يجلس مالك فى أقصاه ساهماً . . الوقت ليل)

المشهد الأول

(مالك وحده . . .)

مالك : تَخَاذَلَ عن صبرِه الصابرُ وأمعنَ فى جَوْرِهِ الجائرُ
فؤادٌ يَهيجُ بأحنَائه هوىً واصبٌ وجوًى ثائرُ
ويا قلبُ كلَّمتنى خُطَّةً هى الذُّلُّ والزَلَلُ العاثرُ
تحنُّ إلى ظالمٍ هاجرٍ وما يرحمُ الظالمُ الهاجرُ
وتُبدى التجلُّدَ بين القلوب وجُرحُك من بينها الغائرُ
ويا عينُ ها كَبِدِى تَكْتَوِى فهل مُسْعِدٌ دمعُك الغامِرُ
ويا شوقُ تَفْرِى حنايا الضلوعِ ومن شفَّنى حبُّه حاضرُ
عجبتُ يُثيرُكَ صدُّ الملولِ ويهتاجُك الأملُ العاقرُ(١)

(١) العاقر : العقيم .

ويانائماً في حواشي النعيمِ فُديتَ: أنا الموجَعُ الساهرُ
حسمتُ هوايَ وناهضتُه لو انّي على مهجتي قادرُ

(يدخل طارق)

المشهد الثاني

(طارق . . مالك . .)

طارق : أمالكُ هذا ؟

مالك : نعم طـــارقُ

طارق : أتُمسي وتُضحي مُقيما هنا
مستهزئاً
أجئتَ تُحدّثُ نُؤَى(١) الديارِ كما كان يفعلُ أهلُ الهوى ؟
وتجمعُ شوقَك في أنّة . . . تُحمّلُها نسماتِ الصّبا
وتستعطفُ البدرَ في أُفْقه ليؤنسَ وحشتَها في الدُّجى؟
وتضرعُ للفجرِ يُزجي لها تحاياك في قُبُلاتِ النّدى
وتبكي وعندَ ديارِ الحبيبِ تَلَذُّ الشكاةُ ويحلو البُكا
ضلالٌ لعمرُ أبي كُلُّه ووهمٌ أذلَّ ضعافَ النُّهَى

مالك : أتهزأُ ـ طارقُ ـ بي هكذا أراكَ تجاوزتَ أقصى المدى

---

(١) الأحجار .

تَعيبُ علىَّ هوًى شفَّنى ... فجَّرعنى فى الشبابِ الأسى
وإنِّى لأعلمُ أنى غَوَيْتُ(١) ... ولستُ بأولِ صبٍّ غوى
فما حيلةُ المرءِ فى قلبهِ ... إذا القلبُ ثار وشقَّ العصا

طاروه : أخى قد شددتُ عليك النكيرَ ... وكنتُ المُسيءَ فكنْ من عفا
رأيتُك تَجرى وراءَ المُحال ... وتطلبُ أمراً مداهُ السُّها
وتَعرضُ قلبَك عرضَ السَّماحِ ... مُلِحًّا بلا أمل يُرتجى
نصحتُكَ لم أبغِ إلا هُداكَ ... فهلَّا سلكتَ سبيلَ الهُدى ؟
أتَحسبُ لبنى سلت قيسَها ؟ ... فما زادها البعدُ إلا جوى
عجبتُ لها ما وهى حبُّها ... كأنَّ الطلاقَ بشيرُ اللِّقا

مالك : يُسرِّحُها ظالمًا باغياً ... فياويحَه من عُتُلٍّ(٢) بغى
ويلفظِها الوغدُ لفظَ النواةِ ... ويَنقَعُ فيها غليلَ العدا
وتَجزيه حبًّا على ما جنَى ... تَعِستْ وهنْتِ قلوبَ النِّسا

(يدخل الحباب من ناحية الخيام ويقترب منهما)

طاروه : ما لهذا أتيتُ ، قد جئتُ يامالكُ أدعوك للمُهِمِّ الشديدِ

---

(١) غوى يغوى من بابى ضرب وفرح (٢) العتل : الغليظ الجافى .

خلِّ ذكرَ الغرام والهجرِ واتركْ نزواتِ الهوى لغيرِ بعيدِ
إن قيساً فاعلمْ سَيقتحمُ الحـــىَّ ويغْشى ربوعَنا من جديدِ
لم يعدْ مُهْدَرَ الدماءِ فقد أو لاه عفوَ الأميرِ مسعى يزيدِ (١)

الحباب : أيزيدٌ قد ضمَّ قيساً إليه ؟

مالك : ذاك ضمُّ العِـربيدِ للعربيدِ

طارق : جاء من يثربٍ بذاك رسولٌ بكتابٍ مُوجَّهٍ من سعيدِ (٢)

مالك : فاجرٌ غضَّ من سنا عبدشمسٍ وسنا العِزِّ من وُلاةِ العهودِ

الحباب : مَن رسولى إلى معاويةَ المِسْماحِ ذى الطوْلِ والقَنا والبنودِ
من رسولى إليه أن يَزيداً ليس أولى ذويه بالتسويدِ
إن بين القُرومِ من آل حربٍ كلَّ مَحْضٍ عَفِّ الإزارِ رشيدِ

مالك : أفيرضى يزيدُ أن يقذفَ البيـــدَ بدهياءَ تَغْتلى فى البيدِ
تصطلى نارَها القبائلُ ما تنفَـــكُّ بين التَّقْتيلِ والتشريدِ

الحباب : كنتُ أدعوكمو بنىَّ لصبرٍ وجُنوحٍ للسِّلْمِ الأسودِ
كنت أدعوكمو إذا صرَّح الشرُّ لرأىٍ فَطْنٍ وحزمٍ وئيدِ (٣)

(١) يزيد بن معاوية . (٢) سعيد بن العاص والى المدينة (٣) الوئيد : الهادىء الرزين .

لم أعُدْ أستطيعُ صبراً وهذا عِرضُنا يُبتلى بقرحٍ جديدِ

يالَ كعبٍ إلى السلاحِ فما أحـ

ـسَبُ كعباً تَرضى حياةَ العبيدِ

طارق : إلى السلاح . إلى السلاح

(أصوات من خارج المسرح تردد : إلى السلاح)

مالك : إلى السلاح . شهِّروا السلاحا (١)

لا نَنْثنِي أو نُثخنَ الجراحا

ونُهلكَ المُجْترىءَ الفضّاحا

(يخرج الجميع مغضبين)

المشهد الثالث

(تدخل لبنى قادمة من خيمتها ، وفى نفس الوقت تدخل عزة قادمة من الخارج . .)

عزة : هل سمعتِ اليومَ يا لُبنى أحاديثَ المدينهْ
وهى مقبلة

نبأٌ أزعجَ كعباً كلُّها هل تعلمينهْ ؟

قيل قيسٌ قد عفا . . . عنه أميرُ المؤمنينا

واجتباهُ ووقاهُ من طِلابِ الطالبينا

قال لا تُهدَرُ فى عهدى دماءُ النابغينا

---

(١) شهَرَ السلاح ، وشهّره : انتضاه .

لبنى : دعْكِ من ذاك ولا . . . تُلق له بالاً وأُذْنــا
متكلفة عدم المبـالاة لستَ أُعنى لستُ أُعنى بهــذا ، شهِدَ اللهُ

عزة : ألا يَعنيــكِ يا لُبنى حديثُ العفوِ عن قيسِ
ضاحكة حلفتُ بغُرّةِ الصــبحِ وباللــيلِ إذا يُمسى
وبالبيتِ العتيــقِ سعتْ إليه مواكبُ العَنْسِ (١)
لأنت بمـا سمِعَنــاهُ لَعمرى أسعدُ الإنسِ

لبنى : أقسمتِ يا عزُّ فأنتِ حانثــهْ
يالكِ من غاويةٍ وعابثــهْ
لو صحّ ماقُلتِ فتلكَ الكارثهْ

عزة : قد صحّ قولى لخذيهِ أو دعى
أتَخدعينَ طَبَّةً (٢) لم تُخــدعِ
عجبتُ للنســاءِ فاعجبى معى
من قبلِ تبّعٍ وبعد تبّعٍ (٣)
يكذبْن بالطبعِ وبالتَطبّعِ
للكذبِ لا لغايةٍ أو مطمعِ

---

(١) العنس : الابل . (٢) الطبة : الحازمة العاقلة . (٣) لقب لملوك اليمن .

لبنى : ويحكِ هـــذى حُجةُ المُهاترِ
ومنطقُ الجائرِ كلِّ الجــائرِ
ماضىَّ لا أُنكرُهُ بل حاضرى
فقد برئتُ من حنينٍ ثائرِ
ومن هوىً مُلابس(١) مُخــامرِ
كان فزالَ كالخيالِ العابرِ
ومرَّ ما تُحِسُّهُ مشـــاعرى
ولا يُطيفُ ذكرُه بخاطرى
عزة : بل إنَّه الحـــقُّ فلا تُكابرى
ما زلتِ تَشْقَيْنَ بوجـــدٍ غامرِ
وتَحملينَ عهـــدَ ناءٍ هاجرِ
من أجْـــلهِ رَدَدْتِ كلَّ كابرِ
وأنتِ بعدُ فى الشبابِ الباكرِ
لُبنى ! جزاكِ اللهُ أجرَ الصـابرِ
لبنى : يا عزُّ ! هـل نَقْوى على المقـادرِ

(١) الملابس : المخالط .

إن مصيرَ الخلقِ عندَ قادرِ
يَقضى بمـا يشاء فى المصايرِ

(فترة صمت ووجوم . ثم تقول لبنى فى تأثر ظاهر)

لبنى : أيْقظتِ فِىَّ الفتنةَ النـائمهْ يا لِىَ من مَجْفوةٍ هائمـهْ
ذكَّرتنيـهِ فذكرتُ الصِّبا والوجدَ فى أيامه الحالمـهْ
والعهدَ فى قُدْسىِّ لألائه والجَحْدَ(١) فى ألوانهِ القاتمهْ

عزة : لُبْنَى عَرفْتُ لك الرجا حَةَ والزكانَـةَ والنُّهى
ردّى تباريحَ الهمو م ونَهْنِهِى همًّا طغى
قد ترجعُ الدنيـا ويُنْـشَرُ مونَقاً عهدٌ مضى
وتعود أيامُ الصـفا يَزْحَمْنَ ليلاتِ الهنا

لبنى ثائرة : خفَرَ الذِّمامَ وأعلنـا ورمى الضـلوعَ فأثْخنا
وعدا على قُدْسِ الصِّبا والذكرياتِ فأمعنـا
ورمى الجحودَ على العهو د فدكَّهـا ثم انثنى
أين الليـالى الحاليا تُ بحاجرٍ والمُنْحَنى(٢)
أيامَ نمـرح بين أعـطافِ الصبابةِ والمُـنى

(١) الجحد : الخيانة (٢) حاجر والمنحنى : موضعان بالمدينة المنورة .

ونرى الدُّنا وكأنما خُلقت لتَجمَعنا الدُّنا
وَيكادُ لم يَسِل العقيــــقُ (1) ولم يَرُقْ إلاَّ لنا
ياقيسُ جُرتَ ولم تكن يا قيسُ إلفا مُحسـنا
لو كنتُ أعلمُ أن حبَّك مُلْبسي ثوبَ العنـا
ومُؤرِّقي ومُعـذِّبي هذا العذابَ البَيِّنا
لنهيْتُ قلبي أن يُتَيَّمَ في هـواك ويُفتنا
ومنعْتُ حبَّـك ياشقيـقَ الروحِ أن يتمكَّنا
يا قيسُ لم يهـدأْ هواكَ وبيننـا ما بيْننـا
أوّاهُ قد سحبَ الفرا قُ عليَّ أذيالَ الضَّـنى
كلُّ الشـبابِ مُمَتَّعو نَ بحبِّهم إلاَّ أنـا

(تلقى بنفسها على صدر عزة)

المشهد الرابع

(يدخل طارق)

طارق : حيِّيتما دُرَّتَيْ كعبٍ وزينَتَهـا
على الليـالى ، وخيرُ الزينـةِ الدُّرَرُ

(1) وادى العقيق وهو يلتهى بجوار المدينة المنورة .

لبنى : حييتَ طارقُ . من أين المجيء ؟

عزة : لـــه
ضاحكة

بيتانـــِ في كلِّ بيتٍ منهما قمرُ

أجئتَ من دارِ سُعدى أو غريمتِها

ضلَّ الرجالُ فكم خانوا وكم غدروا !

طارق : بل تظلمينَ لحـاكِ اللهُ هاذيةً

أمن لسانِك قُدَّ النـابُ والظُّفُرُ ؟!

من منتدى الحيِّ يا لُبنى قدمتَ

لبنى : فهـلْ

طاب الحديثُ لكم واللهوُ والسَّمَرُ؟

طارق : تركتُ كعباً وقد ثارت حفيظتُها
في حدة

وهزَّها غَضَبٌ عُريانُ مستعِرُ .

تركتُ كعباً فـــا فتيانُها رجَعوا

إلى أناةٍ ، وما أشياخُهـا صَبَروا

يرونَ في الصفحِ عن قيسٍ ـ وما ظلموا ـ

إيقاظَ داميةٍ في البيد تنفجرُ

يرونَ في الصفحِ عنه ـ وهو مجترئٌ

على الكبائرِ ـ جرماً ليس يغتفرُ

ما كان قيسٌ كريماً في تقحّمه

مساربَ الحيِّ يغزوها ويستترُ

ينقضُّ كالذئبِ والظلماءُ ساجيةٌ

مَنْ مبلغُ الذئبِ ما يخفى له القدرُ؟

تحلّلَ الليثُ من صبرٍ على مضضٍ

وكشّر اليومَ عن أنيابِهِ النمِرُ

(يبدو على لبنى شيء من الاضطراب)

عزة : وما تقولون في دارٍ يحلُّ بها
في عناد

قيسٌ فثمَّ له في ساحها وَزَرُ[1]؟

هنــاك يأوي لركنٍ لا يُرام فلا

خطبٌ يُغاديه من كعبٍ ولا خطرُ

---

(١) الوزر : الملجأ والمعتصم .

طاروه : أجل فقد طالما يا عزُّ كان له

في داركم مَفزعٌ سهلٌ ومستترُ

جرّأتموه على أعراضنا سفهاً

حتى روتْ عارنا الأنباءُ والسيرُ

لبنى لنفسها : كيف السبيلُ إلى قيسٍ فننذرهُ

بما يُرادُ به لو تنفعُ النذرُ

أراهمو أخذوا للشرِّ أُهبتهمْ

وأبصرُ الخطبَ يستشري وينشمرُ (١)

يا نائماً والعوادي تستعدُّ له

هل عندكمْ عن مُعنًّى ساهرٍ خبرُ؟

يبيتُ يُسلِمُه ليلٌ إلى سَحَرِ

أسوانَ حتى بكاهُ الليلُ والسحرُ

يا قلبُ ويْكَ أما تنفكُّ مُتلِهاً (٢)

تكادُ في جنباتِ الصدرِ تنفطرُ؟

---

(١) يتفاقم ويسرع (٢) متلهاً أى متولهاً .

إن مُدَّ فى عُمُرى أدركتُه أملاً
فَرْداً ، ومنْ لى بأن يَستأنىَ العمُرُ ؟

المشهد الخامس

(يدخل مطيع ومالك والحباب . . .)

طارق : ياعزُّ هذا «مطيعٌ» جاء

عزة : وَيْحَ له

فى فرح فإنهُ منذُ أسبوعين مُنتظَرُ

أهلاً على الطائرِ المْيمونِ عُدتَ لنا

مطيع : لمثلِ هذا التلاقى يُحمَدُ السفَرُ

كيف ابنتاىَ ؟ وكيف ابنى ؟

عزة : كأنَّهمو

زَهْرُ الرُّبى رفَّ(١) فى أنداثهِ الزَّهَرُ

وما وراءَك ؟ حدِّثْنا ، ألا خبرٌ ؟

(ينظر الرجال بعضهم لبعض فى وجوم وحيرة ثم يتجهون بأنظارهم نحو مطيع . . .)

مطيع : ورائىَ المِحَنُ المستَنَّةُ الكُبُرُ

---

(١) رف : اهتز أو أشرق .

لما قدِمتُ وجدتُ الحيَّ مُحتشداً

قد بيَّتوا لجليلِ الأمرِ وأْتمروا

فقلتُ للقومِ: كفُّوا غَرْبَ شِرَّتِكم

فالخطبُ منحسمٌ والشرُّ منحسِرُ

لقد تَزَوَّجَ قيسٌ في بني جُشَمٍ

فما له مأْربٌ فيكم ولا وَطَرُ

(تضطرب لبنى وتحاول التماسك)

عزة : قيسٌ تزوَّجَ؟! ما أُذْني بمُخطئةٍ
في حدة ودهشة

لولا تَجِدُّ لقلتُ: الكاذبُ الأشِرُ

مطيع : خَلَّفْتُهُ بانياً (١)

عزة : هانَ الرجالُ ففي
في ثورة

أخلاقِهم منذ كانوا اللؤمُ والبَطَرُ

إن سالموا غدروا، أو عاهدوا خَفَروا

وأغلَظُ الناسِ أكباداً إذا قَدَروا

(١) بانياً أي: متزوجاً.

الحباب : أراكِ مأخوذةً يا عزُّ من نبأٍ

فيه عِظاتٌ لِذِى لُبٍّ ومزدجرُ

عطفٌ ، فَحُبٌّ ، فوجدٌ نازعٌ ، فقِلًى

ففُرقةٌ ، فتَنَاس . هكذا البَشَرُ

ليْتَ الشبابَ إذا همُ في الهوى اندفعوا

لم يُسرفوا فى جميلِ الظنِّ وانتظروا !

لبنى لنفسها فى ناحية : صَرَعْتَ يا قيسُ ما استبْقيتُ من أملٍ

آهِ على الأملِ المرْجوِّ يحتضرُ !

يا قلبُ لا تتساقطْ هكذا قِطَعاً

واصبرْ فذاكَ قضاءُ اللهِ والقدرُ

كأَنَّ ثِقْلَيْنِ من وجدٍ ومن كَمَدٍ

أُلْقيتَ بينهما تُفْرى وتُعتصرُ

(تلحق بها عزة فتقفان فى ناحية ، ويقف الحباب وبنو أخيه فى ناحية أخرى متشاغلين عنهما)

عزة : حدَثٌ ما تَسامعَ الناسُ مِثْلَهْ

وَيْحَ للخائنِ المُداجى ووَيْلَهْ !

لم نَلُمهُ لو كانَ قاتلَ روحٍ

لم يُمثِّلْ به وأحسنَ قَتْلَهْ

لبنى : ما انتفاعى بالعيشِ بعد مُلِمٍّ

دكَّ فينانَه وقلَّص ظِلَّهْ ؟!

صَدَعَتْ هذه الكوارثُ قلباً

حَمَلَ العبءَ وحدَه واستقلَّهْ

ورمتْنى يا عزُّ حسرى جريحاً

قد فقدتُ الإيمانَ إلا أقلَّهْ

أملٌ كالربيعِ أدركهُ المَحْـ

ـلُ(١) فأشقى فيه نداهُ وطَلَّهْ (٢)

ونعيمٌ طلْقُ البشاشةِ ضاحٍ

شفَّه فاجعُ الفراقِ فطَلَّهْ(٣)

وهوًى كالشبابِ ، لم يزلِ الدهـ

ـرُ به يستبدُّ حتى أذلَّهْ

(١) المحل : الجدب . (٢) الطل : أخف المطر . (٣) طله : قضى عليه .

كُلَّما قيلَ : مَلَّهَا وسلاها

قلتُ : يا قلبُ لا تُرَعْ ، فلعلَّهْ !

يا فؤادى برئتُ منكَ أما آ

ن وقد خانَ عهدَه أن تَملّهْ

قد قطعتَ السنينَ أسوانَ تبكى

وتَدَاعى فى أضلُعٍ مُضمحِلّهْ

كنتَ تبغى عدلَ الزمان وترجو

فَذُقِ اليومَ صَفْوَهُ واحْسُ عدلَهْ

جَلَلٌ هانَ فيه كلُّ جليلٍ

ليْتَك انْهرْتَ فى ضلوعِكَ قَبْلَهْ

طارق : أرى أفضلَ الأوقاتِ للمطلبِ الذى
لمالك

تَمَنَّى لخاطبْ كِبْرَها ربما لبَّى

تقدمْ إليها وهى بالغيظِ تكتوى

فقد تَسلُس(١) الغيْرى وتستسلمُ الغضْبى

---

(١) تسلس : تلين وتنقاد .

مالك : فديتُكَ عمِّى ! إننى جئتُ خاطبـاً
الحباب
إليـكَ لُبينَى فاصطنعْنى ولا تأبى
ويا عمِّ هل تَقْضى على قلبِ آملٍ
يناشدُكَ المعروفَ والدَّمَ والقرْبى
ويا عمِّ تَدْرى أننى عشتُ ظامئاً
فهلْ أَرِدَنْ فى دارِك المَنْهلَ العذْبا ؟
الحباب : أمالكُ لو أنِّى تَخـيَّرتُ لم أجدْ
سواكَ للُبنى صاحباً مُحْصِناً نَدْبا
تحدَّثْ إلى لُبنى فإنْ هى أطْلَبَتْ (١)
حمِـدتُ وإياك المَغَبَّـةَ والعقْبى
مالك : أسامعةٌ لُبنى ؟ أما آن أنْ تَرَى . .
تباريحَ همٍّ شفَّتْ الجسمَ والقلبـا
أتارِكَتى أَقضى من البثِّ والضنى
أم اعتزمتْ تُدْنى لىَ الـكَنَفَ الرحْبا

---

(١) أطلبت : أجابت الطلب .

لبنى في عطف وحزن : أمالكُ لم تُبقِ الحوادثُ لي نُهى

وما تركت قلباً يُحسّ ولا لُبّا

فديتُك ما رَدُّ ابنِ عمّي بهيّنٍ

ولكنّكَ استوْفيْتَني مطْلباً صعْبا

فلو كنتُ أبغي الماجدَ الكفءَ وحده

لكنتَ من الغُرّ الميامينِ لي حسْبا (١)

ولكنّما أشقى بأعقابِ غابرٍ

من الدهر ما يَبْرحنَ يوسعنني كربا

فدعْني وما ألقى من الهمِّ إنني

نُكِبْتُ فلا توقِر (٢) بخِطبتِكَ الخطْبا

تراءيتَ في ماضي حياتي وإنّه

لماضٍ يضمُّ الهُونَ (٣) والأملَ الجدْبا

أريدُ لأنأى عن حياتي التي مضتْ

وأنسى الدُّنا والأهلَ والحيَّ والصحْبا

ستار

(١) كافياً ومغنياً . (٢) توقر : تثقل . (٣) الهون : المذلة .

الفصل الخامس

المنظر الأول

(ربوع نجد . . أشجار ، ونخيل ، ومضارب تلوح من بعيد)

المشهد الأول

(قيس وحده . . .)

قيس : أهٰذِي رُبى نجدٍ ؟ . نَعَمْ إنها نَجْدُ

فَدَلَّ عليها البانُ والشيحُ والرَّنْدُ (١)

ودلَّتْ عليها من بعيدٍ شمائلٌ (٢)

مؤرَّجَةٌ تَسْرِي وعاطرةٌ تَغْدو

أطوفُ شِعابَ البيدِ أسوانَ هائماً

يُطالِعُنى طاغٍ من الوجدِ مشتَدُّ

أخو حُرَقٍ يحيا بقلبٍ مُصدَّعٍ

ألَحَّ عليهِ البَثُّ والهجْرُ والبعدُ

وقالوا : تَزَوَّجْ بعدَها تَنْسَ عهدَها

وكيف ومن روحى وفى دمِىَ العهدُ

---

(١) أنواع من الشجر . (٢) الشمائل : النسمات .

أطعتهمو أبغى السُّلوَّ فلم تُطعْ
مواثيقُ من لُبنى وشائجُها عِدُّ (١)
وباكٍ أجنّته الضلوعُ موكَّلٌ
بأبياتِ لُبنى لايروحُ ولا يغدو
وَوقْدٌ هوىً فى أولِ الليلِ هادىءٌ
ومحتدمٌ فى آخرِ الليلِ محتَدُّ
وتَزْعُمُ لى أن التجلُّدَ راحةٌ
من البثِّ يا قلبي . فذقْ أيها الجَلْدُ
وقالوا : تراخى ودُّها وتزوَّجتْ
فقلت : زواجٌ غابَ عن قُدسِهِ الودُّ
فللزوجِ منها الصونُ والطهرُ والوفا
ولى نزعاتُ القلبِ والشوقُ والوجدُ
أحِسُّ بمـا تَلْقى فإنى بلوتهُ
زواجانِ ما من فَصْمِ عقدِهما بدٌّ

(١) عد : كثيرة وقديمة .

المشهد الثاني

(يظهر قيس بن الملوح فى ناحية من المسرح ومعه صديقه زياد)

قيس مستمراً : أذلكَ قيسُ بن الملوَّحِ ؟ إنه
رفيقُ صباىَ السمْحُ والشاعرُ الفردُ
وهذا زيادٌ

زياد فى دهشة : مَنْ ؟ أقيسُ كِنانةٍ ؟
وشاعرُها الأعلى وفارسُها الوَرْدُ[1]؟
لكَ الشرفُ المنفوسُ يا نجدُ والسنا
فقد جمع القيسيْن واديكَ يا نجدُ

(يقف قيس بن الملوح مبهوتاً ويشيح بوجهه عن قيس بن ذريح)

مستمراً يخاطب قيس بن الملوح ويا قيسُ قد لاقَيْتَ خِدْناً ومُشبهاً
فيَبكى كما تبكى ، ويشدو كما تشدُو
كصوتٍ ورجعِ الصوتِ فى البيدِ أنتُما
تُردِّدُه الدنيا ويحفظُه الخُلْدُ (٢)

(١) الورد : الشجاع الجرىء . (٢) البقاء والدوام .

المجنون : زيادُ كذبتَ اللهَ ما قيسُ مُشْبِهِى
أأُشبه من أمسى وليس له عهدُ ؟ !
أأُشبه من ألْوى[1] بِخُلَّةِ نفسه
وخلَّفها كالورد إذ صوَّح[2] الوردُ ؟
رماها فأصمى باغياً غيرَ راحم
لعمرُ أبى تلك الخيانةُ والجَحْدُ !

قيس : أخى قيسُ قد حُمَّ القضاءُ كما ترى
وأىُّ قضاءِ اللهِ كان له ردُّ ؟
تلومُ على أشياء حين اجترحتُها
رأيتُ الدُّنا تنهارُ حولى وتنهدُّ
وأبصرتُنى فى عالَم لا أُحسُّهُ
غريباً كأنِّى لم أخُضْ غَمْرَهُ بعدُ
ومن فَقَدَ الأحبابَ لم يَخْشَ بعدَهم
فجيعةَ فقدٍ هان أو فدحَ الفَقْدُ

---

(١) ألوى بهم الدهر : أهلكهم . (٢) صوح : يبس وجف .

وقد كنتُ من لُبنى بأَوْفى هناءةٍ
لنا الكَنَفُ المبذولُ والعيشةُ الرَّغْدُ

وكنا بجيدِ الدهرِ عِقداً فلم يزلْ
بنا الدهرُ حتى هان وانتثرَ العِقدُ

المجنون : بكيتَ لِبكَّاءِ الليالى يقومُها
وفى لُبِّه مسٌّ وفى قلبه وقْدُ

كلانا مُعَنًّى غيرَ أَنِّيَ لم أنَلْ
كما نِلْتَ من تَهوى وأخطأنى الجَدُّ

ولو أنَّ ليلى ساعفتْنى لأقْصَرتْ
طرائفُ أشجان تَباريحُها تُلْدُ (١)

بربِّك خبِّرْنى فهل يفترُ الهوى
إذا اقترَنَ الصَّبانِ ؟ أو هو يشْتَدُّ ؟

وهل يَتَلَقَّى الزوجُ يا قيسُ زوجَه
فَيبْهتَ : لا قولٌ لديه ولا ردُّ ؟ ! . .

---

(١) تلد : قديمة .

وهل يَطْعَمُ الزوجانِ شُهْدَ صبابةٍ
كعهدِهما إلفين أمْ يَنفَدُ الشُّهْدُ؟

قيس : بَنَيْتُ بها يا قيسُ خمساً كواملاً
فمرّت وميضَ البرقِ يخبو إذا يبدو
فما نلتُ حقَّ الزوجِ إلا تأجّجتْ
حقوقُ الهوى تَغْلِى وتغْلو وتحتدُّ
وما غِبتُ إلاّ أوشكتْ بعدَ ليلةٍ
تَنَاثَرُ أحْنــاءُ الضلوعِ وتَنقدُّ

زياد : ألا تستروحانِ كفى عناءَ
لقد أغرقْتُما الدنيــا بُكاءَ
بكاءً في قوافٍ عامراتٍ
سَرتْ في البيدِ مُشْرقةً وِضَاءَ
فكُنَّ لكلِّ موصول غِنــاءً
وكُنَّ لكلِّ مهجورٍ رجاءَ

وكنَّ شذىً يضوعُ بكل خِدرٍ
وراحاً ينقَعُ(1) المُهَجَ الظِّماءَ
فعودا للأناةِ فربَّ دهرٍ
تَفَرَّقَ بالأحبةِ ثم فاءَ

قيس : (بكَيْتُ نعم بكيتُ وكلُّ إلْفٍ
إذا ذهبتْ أليفتُه بكاها) (2)
(وما ترْكى لِلُبنى عن تقالٍ
ولكنْ شِقوةً بلغت مداها)

زياد : تُذَكِّرُنى بقافيةٍ لقيسٍ ؟

قيس : وهلْ فى البيد إلا من رواها ؟

المجنون : وقلتُ لزوجها حين التقينا
فى وجوم
وليلُ بحيثُ تسمعُ فى خِباها
ومن كبدى إلى الأحشاءِ نارٌ
تَوَهَّجَ(3) حرُّها وعلا لظاها :

---

(1) يسكن العطش ويقطعه (2) هذان البيتان من شعر قيس بن ذريح .

(3) توهج : اشتد ، للنار والحر خاصة .

(بربِّك هل ضممتَ إليكَ ليلى
قُبَيلَ الصبح ؟ أو قَبَّلْتَ فاها ؟)[1]
(وهل رفَّتْ عليكَ قرونُ ليلى
رفيفَ الأقحوانةِ فى نداها ؟)
وصوَّر لى الخيالُ كأنَّ ليلى
تحدِّثنى تقولُ : ألا تناهى ؟
تماسكْ يا أبا المهدىِّ واصبرْ
فربَّةَ غَمْرَةٍ حُلَّتْ عُراها

زياد لقيس : إلى أينَ المسيرُ فدتكَ نفسى ؟
قيس : وهل أدرى إلى أينَ المسيرُ ؟
خرجتُ بأينُقٍ بُدْنٍ [2] وخيل
فعمَّ البشرُ قومِىَ والسرورُ
وقالوا : صحَّ من سَقَمٍ ومس
وشاقتهُ المدائنُ والثغورُ

(١) هذان البيتان من شعر المجنون . (٢) البدن : الضخمة القوية .

وما بتجـــارتى ياقيسُ همِّى

وما أُعْنَى أتربحُ أم تبُــورُ

إذا التَّطوافُ لم يَجمعْ بلُبنى

فخيرٌ أن تُغيِّبنى القبورُ

المجنون : إذنْ نمضى معاً ياقيسُ فاعجبْ

أسيرٌ فى رعايتـه أسـيرُ

فقـد تَجْرى على يُمْنٍ خُطانا

وقد يتحقَّقُ الأملُ العســيرُ

المشهد الثالث

(يدخل عبد الله بن أبى عتيق ، فيقترب منهم ويبدو عليه كأنه لم يعرفهم أول وهلة)

ابن أبى عتيق : سألنـا فتيةً عن قيسِ ليــلى

فقيلَ : تَراه فى أقصى الطريقِ

فهـل نبــأٌ لدى الأخيارِ عنه ؟

قيس (فى فرح) : تعـالى اللهُ يا ابنَ أبى عتيقِ !

رأيتُكَ فاتّهمْتُ الآنَ عيني

ونجدٌ أينَ من أعلى العقيقِ (1) ؟

أتيتَ تريدُ لُقْيا قيسِ ليلى

وقفتَ على طِلابِك يا صديق

ابو أبي عثيو: قَدِمْتُ أطلبُ قيساً واحداً فإذا

قيسانِ يعدِلُ كلٌّ منهما جيلا

فاضا بأروعِ ما يسمو البيانُ له

فأسمعا البيدَ قُرآناً وإنجيلا

وأرسلا أُغنياتٍ من نشيجهما

لم تألفْها البيدُ ترديداً وترتيلا

سألتُ من هذّبَ الدُّنيا وجمّلها

بالحبِّ والشعرِ تهذيباً وتجميلا

أن تقطعا الدهرَ نِضْوَىْ لوعةٍ وضَنًى

وتَبْقيا العمرَ ، متْبُولا (2) ، ومطْولا

---

(1) أعلى العقيق عند المدينة المنورة مما يلي الحرة إلى منتهى البقيع (2) المتبول المذهوب بعقله من الهوى

إذنْ جنى البيدُ من عالى بيانِكما

أسْنى اليواقيتِ إكليلا فإكليلا [1]

المجنون : جَهِلتَ يابنَ عتيقٍ ما نُكابدُه

نحن المعاميدُ[2] فى الدنيا المجاهيدُ [3]

تمضى الليالى وفى أكبادِنا حَرَقٌ

نصلى لظاهُ وفى الأجفانِ تسهيدُ

مُعذَّبون فلا الأشجانُ هادئةٌ

عنا ، ولا منهلُ الآمالِ موردُ

قيس : ياصاحِ نحن ضحايا الدهرِ ، لوعتُنا

للناسِ سلوى وترويحٌ وتغريدُ

ومن عُصارةِ قلبَيْنا ودمعِهما

راحٌ تساقتهُ فى أسْمارها البيدُ

---

(١) الاكليل : طاقة الجوهر . (٢) وأحدها معمود وهو من أضناه الهوى .

(٣) المجاهيد : من أضناهم الجهد والضنى .

فاعجبْ لِمُغتبقٍ (١) ساقيه مُحترقٌ
واعجبْ لِمُستمعٍ (٢) شاديه مفئودُ (٣)

ابن أبي عتيق: يا صاحبيَّ أقِلّا من نحيبكما
أتيأسان ولطفُ اللهِ منشودُ؟!
فقد تكونانِ والدنيا مؤاتيةٌ
والدارُ حاليةٌ والعيشُ محمودُ
وقد تكونان والأقدارُ مُحسنةٌ
والظلُّ ظلُّ اجتماعِ الشملِ ممدودُ

المشهد الرابع

(يدخل كثير بن الصلت ، وابن وهب ، والحارث ، كأنهم فى طريقهم إلى حيهم ، يقف هؤلاء بعيداً ويتقدم كثير إلى قيس وأصدقائه)

كثير بن الصلت: مَنْ صاحبُ الأينُقِ فى الكرامِ
والخيلِ فى الحديدِ واللجامِ
مشيراً للخارج: تلكَ التى أُبصرها أمامى

---

(١) الغبوق : شرب الخمر ليلا . (٢) المستمع : سامع الغناء خاصة .
(٣) المفئود : الحزين الشجى .

عفواً ، نسيتُ واجبَ السّلامِ

قيس : سلِمْتَ فى الكرامِ والأمجادِ
تلكَ نياقى قد ملأْنَ الوادى
وهذه الجيادُ من جيادى
هل مَطْلَبٌ للفُضْلِ الجوادِ

كثير : رأيتُ مُهْراً هٰهنا قريبا
ذاكَ الذى يستدبرُ القليبا (١)
شَرَيْتُه إن شئتَ أن تُجيبا
فمرْ أُؤَدِّ الثمنَ المطلوبا

قيس : أقسمتُ إن قبلتَ أهديناهُ

كثير : هذا لعمرى كرمُ آباهُ
هلّا تبايَعْنا ؟ هداكَ اللهُ

ابن أبى عتيق : خذهُ إذنْ بثمنٍ ترضاهُ

قيس : بوركَ فيه لمنِ اشتراهُ

---

(١) القليب : البئر .

كثير : سأمضي شاكراً لك من كريم
يسيرُ الفضلُ حيث مشى وسارا
لحيِّ كُثَيْرِ ابنِ الصلْتِ فاقصدْ
غداةَ غدٍ تكنْ ضيفاً وجارا
فإنك واجدٌ فيه كراماً . . .
خَضارمةً (١) وأحساباً كِبارا
نؤدِّي دَيْنَنا ونَطيبُ نفساً
ونولي الفضلَ والمِنَنَ الغزارا
(يخرج كثير بن الصلت وبنو عمه)
ابن أبي عتيبة : تعالوْا إلى خيمتي يا رفاق
ففيها لنا مجلسٌ حافلُ
تعالوْا نَنَلْ من شهيِّ الحديثِ
فقد شاقنَا السَّمَرُ الفاضلُ
ستار

(١) واحدها خضرم ، وهو كثير العطاء .

الفصل الخامس

المنظر الثاني

(فى ربوع كثير بن الصلت)

(الحارث وابن وهب جالسان عند إحدى الخيام يتحادثان ، وعلى مقربة منهما خيام ومنازل حولها نخيل وأشجار . . . يدخل قيس والمجنون وابن أبى عتيق وزياد)

قيس للمجنون : أخى قيسُ قد أمسيتُ لم أَطْعَمِ الكرى

وبتُّ ونارُ الشوق يَشْرى (١) لهيبُها

تُسَاوِرنى أشياءُ لم أدرِ كُنْهَهَا

لها هَفْوُها (٢) فى مُهجتى ودَبيبُها

تُحدِّثُ عن لُبنى بأن مزارَها

قريبٌ وأنَّ النفسَ دانٍ حبيبُها

وتَحملُ لى الأَنسامُ ريًّا (٣) عرفتُها

تَضَوَّعُ منها عَرْفُ (٤) لبنى وطيبُها

يَهيجُ صباباتِ الفؤاد ابتدارُها

ويُذكى تباريحَ الضُّلوعِ هبوبُها

---

(١) يشرى : يشتد ويستطير . (٢) الهفو : المرور الخفيف . (٣) الريا : الرائحة الزكية .
(٤) الرائحة الطيبة أيضاً .

بحقِّ الهوى يا نجدُ هل أنت دارُها ؟
سقتْك الغوادى قَطْرُها وصبيبُها
وإلا تَكن مَغْنًى لِلبُنى وملعباً
فما لحنايا القلبِ طاغٍ وَجيبُها ؟ !
المجنون : لنا اللهُ نحن العاشقين تَهزُّنا
أحاسيسُ ما تنفكُّ تَخفى على الناسِ !
تُجدِّدُ لنا الأَنسامُ وجْداً ولوعةً
بما تحملُ الأنسامُ من طِيبِ أنفاسِ
ونُبصرُ من وحْيِ القلوبِ وهَدْيِها
سنا الأملِ اللَّماحِ فى ظُلمةِ الياسِ
ويا قيسُ هل طافت بجسمِكَ هِزَّةٌ
كما اهتزَّ فى أبرادِهِ الشاربُ الحاسى ؟
وهل شَمِلَتْ أحناءَ قَلبِكَ قَبْضَةٌ
كعضٍّ بأنيابٍ وضَغْمٍ (١) بأضراسِ ؟

(١) الضغم : العض الشديد .

فصدِّقْ إذن حدْسَ الضميرِ فربما
تعلَّقْتَ من لُبَنى الغداةَ بأمراسِ [1]

ابن أبي عتيق: ترى أديارُ آلِ الصلْتِ هذى
وهل هـذا هو الربْعُ المرادُ؟
أرى بعضَ الشبابِ هنا جُلوساً
فسلْهم عن كُثَيْرٍ يا زيادُ

(يتجهون نحو المنازل)

الحارث : أتعرفُ من تراهم يابنَ وهبٍ؟

ابن وهب : . . أولئك من لقِينا عصرَ أمسِ
يهم للقائهم

الحارث : همو ضيفى [2] فلا تسبِقْ إليهم أتحسبنى مُضيعاً حقَّ نفسى؟

زياد : أتلك ديارُ بنى الصلْتِ؟

الحارث : هذى ديارُهمو مرحباً بالبدورِ

زياد : فأين بيوتُ كُثَيْرٍ فقَدْ وفدْنا إليـهِ لأمرٍ يسيرِ

ابن وهب : فهذى بيوتُ الأبىِّ الكريمِ ولكنكم ما أقمتم ضيوفى

(١) الأمراس : الحبال . (٢) جمع ضيف كأضياف .

وإن ابنَ وهبٍ لكفءٌ لكم فهلاّ نزلتم بمحضٍ عَيوفِ

قيس : شكرناك من سيِّدٍ مُفْضَلٍ يلوحُ عليه سنا أصلِهِ

ودِدنا لو انا أجبنا الأغرَّ فمِلْنا إلى الرَّحب من سهلِهِ

ولكن قدِمنا على موْعدٍ نُجيب كُثَيْراً إلى سؤلِهِ

الحارث : على الرَّحْبِ في داره تنزلون كأنَّكم الصِّيدُ من أهلِهِ

ابو وهب : ربوعٌ تعهَّـدَها ربُّها بفيْضِ النعيمِ ومُخْضَلِّهِ

يصونُ ذُرا مجدِها بالقنا وبالنائلِ الغَمْرِ (١) من بذْلِهِ

(يتجهون إلى منزل كثير بن الصلت يتقدمهم ابن وهب والحارث)

قيس : تُرى أفي الدارِ ـ أهلَ الدار ـ صاحبُها ؟

إنّا على موعدٍ نلقاهُ في الدارِ

ابو وهب : يا ربَّةَ البيتِ ، أضيافٌ غطارفةٌ (٢)

من كل أبلجَ رَحْبِ الباع مِغْوارِ (٣)

قومى إليهم وهيِّ غيرَ وانِيَةٍ

ما تبذُلين لأضياف وزُوارِ . . .

(١) الغمر : الوافر . (٢) الغطريف : الكريم السرى . (٣) المغوار : الشجاع .

لبنى من داخل الخباء : أخى ابنَ وهبٍ فدتكَ النفسُ مُخْلَصَةً

من خيرٍ جاءنا يَسْعى بأخيارِ

(يبدو الاضطراب قليلا على قيس)

لبنى مستمرة : حلُّوا على الرحْبِ فى أمنٍ ومكْرمةٍ

داراً مُوَطأةً للضيفِ والجارِ

قيس في اضطراب للحارث : أتسمعون ؟ فهذا الصوتُ أعرفُهُ

من ربَّةُ الدار ؟ هل أفصحتَ يا حارِ ؟

لبنى من الداخل أيضاً : يا وهبُ

قيس : بلْ صوتُها ، ما أخطأتْ أُذُنى

وما ونى القلبُ عن نَذْرى(١) وإخبارى

(تظهر لبنى فيقع نظرها أول وهلة على المجنون . فتبدى دهشة وارتياحاً معاً)

لبنى : من ذا أرى ؟ قيسُ ليلى فى منازِلنا ؟

أسْعِدْ بها ساعةً ألقاكَ فى دارى

---

(١) النذر والانذار بمعنى واحد .

المجنونه : لُبنى ؟
في دهشة

قيس : أَلُبُنَايَ من تدعو ؟

لبنى : أجئتَ بهِ ؟
في حيرة بعد فترة صمت

قيس : اللهَ في هالك ياقومُ منْهـــارِ

(يتخاذل قيس فيسنده ابن أبي عتيق والحارث)

المجنونه : ماذا أصابكَ ؟
لقيس

لبنى : ماذا ربِّ حلَّ به ؟
في صوت منخفض

يا قيسُ أدركْه في رفْقٍ وإيثارِ

قيس : أُحسُّ نفسيَ قد ناءتْ بمـا حَمَلَتْ

شِعابُها من جليلِ العبءِ جبّـارِ

وباتَ يهتزُّ قلبي في أضالعـه

كأنّهُ طائرٌ في مِخْـلَبَيْ ضـارِ

النارُ في مُهْجتي والنارُ في كبدي

وقيل لِي اصبرْ! وما صَبْري على النارِ؟

(يقع منشـبأ عليه)

ابن أبي عتيق : قيسُ فاثبتْ وتماسكْ

قيس : أجْلساني واسقياني

ما أراني غيرَ مدفوعٍ لحَيْني ، ما أراني

(تسرع لبنى إلى الخباء فتأتي بإناء فيه ماء تعطيه للمجنون)

لبنى : قيسُ ، هذا الماءُ فابردْهُ به حتى يُفيقا

واسقه واحنُ عليه وكن الخِلَّ الرفيقا

المجنون : هاتِ يا لُبنى فما أحْسبُهُ بالماءِ يَرْوَى

قيسُ ، هذا ماءُ لبنى فتماسكْ

قيس : لستُ أقْوى

من لُمْشْفٍ [1] يَعْصِفُ الموتُ به عُضواً فعُضوا

أُبصِرُ البُرْءَ وما أستطيعُ للبرءِ دُنُوّا

الحارث : يا ابنَ وهبٍ من الفتى ؟

ابن وهب : أفَلم تعرفْه يا حارِ إنه ابنُ ذَريحِ

(١) المشفى : المشرف على الهلاك .

الحارث : قيسُ لبنى ؟

ابن وهب : أجـــــلْ

الحارث : إذنْ قد علِمْنا سرَّ نضو بادى الهُزال طليحِ[1]

ابن وهب : قد لعمرى أسِيتُ للعاشقِ المُضْنَى غريقاً فى دمعه المسْفوحِ

قيس : أنا من نالَ نَفْسَه بيديه ورماها للبثِّ والتبريحِ

النعيمُ الذى أضعتُ نعيمى والصروحُ التى هدمتُ صروحى

والدموعُ المدَفَّقاتُ دموعى والجروحُ المُغْرَوْرِقاتُ جروحى

إيه لبنى أما لصفحٍ سبيلٌ ؟ أيْسرُ الصفحِ لو علمتِ مُريحى

أنتِ روحى وما إخالُكِ إلا تعلمين اليقينَ أنك روحى

ابن وهب : ويْكَ يا قيسُ إنَّ للزوجِ حقاً ما أرى ما نطقتَ إلا نسيبا

أنت جارٌ لزوجها فمن النُّهيةِ[2] ألَّا تقولَ قولا مُريبا

المجنون : يا بنَ وهبٍ ماذا يَريبُكَ منه

تلك والله نفْثَةُ المصدورِ

هل تَعدُّون صَرْخَةَ المُحْرَقِ المو

جَعِ إثماً أم أنَّةَ المهجــورِ ؟

---

(١) الطليح : المتعب المحطم . (٢) العقل والسداد .

الحارث : ليس هذا مُقامَنا يا ابنَ وهبٍ

فامضِ نُبْلِغْ بما شهدنا كُثيْرَا

قَدْ يرى رأيَهُ فيحسمُ حالا

لا أراها تُرضى ويدفعُ شرًّا

(يخرج ابن وهب والحارث ويجلس الباقون فى شىء من الاستقرار)

المجنون : أىُّ يوم يا لُبَيْنَى باسمٍ | ضمَّ أنضاءَ(1) الهوى فى قَرَنِ
جَمَعَ المُضْنَى على المُضْنى كما | ردَّ ذا شوقٍ إلى ذى شَجَنِ
تلك لُقْيا كفَّرَ الدهرُ بها | عن تباريحِ الأسى والحزَنِ

لبنى : يا أخى قيسُ ظلمتَ الدهْرَ ما | رابنى دهرى ولا روَّعنى
يُخطِئُ الناسُ فإن حاسبْتَهم | نسبوا أخطاءهم للزمنِ

ابن أبى عتيق : قدْكِ لبنى إنما يحكمُنا | قَدَرٌ يقتادُنا بالرَّسَنِ
أُحْصِيَتْ فى صُحُفٍ أعمالُنا | فهى تجرى مثْلنا فى سَنَنِ

قيس : كَتَبَ اللهُ علينا شِقْوَةً | بعدَعيشٍ كشهىِّ الوَسَنِ(2)
كنتُ مُنساقاً ومدفوعاً إلى | غايةٍ مجهولة لم تَبِنِ

(1) جمع نضو وهو المهزول المتعب . (2) الوسن : النعاس .

كنت آتى الأمرَ لا أعقلُه ... مُكرهاً أجهلُ ما يُكرهنى
لوّنوا التحريضَ سحراً دافقاً ... ما ونَوْا عن سَكْبِه فى أذنى
عشتُ من بعدكِ لُبنى ساهماً(١) ... دائمَ البثِّ صريعَ الشجَنِ
بينَ أضلاعِىَ باكٍ نازعٌ ... عاش مذ بِنْتِ غَريبَ الوطنِ
خنتُ ميثاقِىَ زوجا خاسراً ... غيرَ أنِّى عاشقاً لم أخُنِ

لبنى (فى خبث) : كيف شيخاكَ ؟

قيس : أأُمِّى وأبى ؟ ... يقضيانِ العمْرَ أعلَيْنِ كراما
أحمَدُ اللهَ على نعمتِه ... مايرومان من الدهرِ مراما

لبنى : أمقيمانِ على عهدِهما ... يملآن البيتَ عدْلا وسلاما ؟

قيس : خطأُ الشيْخيْن لا أُنكرهُ ... مَنْ منَ الناسِ عن الظلمِ تسامى
لا تلومى قَدَراً صَبَّهما ... نقمةً حلَّت علَينا وانتقاما
ندِموا فاستغفرى اللهَ لهم ... إنَّ للنادم حقاً وذماما
ولقد هَمُّوا بإصلاحِ الذى ... أفسدوا لولا حديثٌ قد ترامى
قيلَ زُفَّتْ لفتىً من كِنْدَةٍ ... ملكَ القلبَ عليها والزماما

---

(١) الساهم : المتغير لونه مع ضعف وهزال .

لبنى في حدة : ماعلى ضغن وحقد أنطوى إنما أمقت بغياً وأثاما
أذكر الظلم الذى روعنا إنه كان عذاباً وغراما (١)
ما أظن الله ينجيهم وإن قطعوا العمر صلاة وصياما

قيس : دعى الماضى يا لبنى فقد كان الذى كانا
مضى فى ذمة الدهر ... فما تجدى شكاوانا
إذا اليوم مضى بانا وما يرجع مذ بانا
إذن فلنطو ما فات ألا ولنعش الآنا

لبنى : وكيف وذلك الماضى تساقط من حنايانا
هو الروض الذى صوح والعمر الذى هانا
هو الحلم الذى ولى كأن الحلم ما كانا
سنرعى ماضياً سمحاً وننسى ظالماً خانا

المجنونه : أراك شغلت بالماضى فلم تستخبرى عما
سلى قيسك يا لبنى عن الحى وما ضما
سلى عن ربعك الباكى وعن أبياتك الكلمى (٢)

(١) الغرام هنا : الشر والهلاك . (٢) الكلمى : الجريحة .

قيس : فما زالت مغانيها تُريقُ المدمعَ السَّجْما (١)
تكادُ تذوبُ من شوْقٍ إلى من زانَها قِدْما

لبنى (في حدة) : عَجِبْتُ لقولهِ هذا وأعجبُ منه جُرأتُهُ
أما ينفكُّ يذكرنى وفى مغناهُ زوجتُه
أنا زوجُ فتى سَمْحٍ وأنتَ لُحرةٍ زوجُ
لك النهجُ الذى آثر تَ يا قيسُ ، ولى نَهْجُ
كلانا اختار وجهتَه فلا تأمُلْ ولا ترْجُ

قيس : لقيتُكِ فاستَرْوحتُ (٢) حتى كأنما
لَقيتُ شبابى بعد فَوْتِ شبابى
وأدركتُ يا لبنى بمرآكِ غايةً
تناهت إليها فى الحياةِ طِلابى
ويارُبَّ صَحْوٍ بعد نكباءَ زَعْزَعٍ
ورُبَّ نعيمٍ بعدِ طولِ عذابِ

(١) المدمع السجم : الغزير . (٢) الاسترواح : الفرح بالشيء والشعور بذهاب الغم .

المجنون : وكُنْتَ غريبَ الدارِ ياقيسُ فالتمسْ
هناءَ غريبِ الدارِ بعد إيابِ
وخُضْ فى عتابٍ يملأ النفسَ نشوةً
فلا خيرَ فى صفوٍ بغيرِ عتابِ

لبنى : وذى أملٍ ما إنْ سبيلٌ لنَيْلِه
فى نبرة حزينة
وبعضُ المُنى يا قيسُ جِدُّ كِذابِ
وظمآنَ ظنَّ الآلَ(١) ماءً فأمَّهُ
فلما دنا لم يُلْفِ غيرَ سرابِ
ومن خَبَرَ الدنيا يجِدْ دارَ فُرقةٍ
ومَرْتَعَ آثامٍ وغابَ ذئابِ

قيس : فديتُكِ يا لُبنى على العتْبِ والرِّضا
بنفسى وأهْلى والفداءُ قليلُ
فهلْ لىَ من أعطافِ صفْحِك موضعٌ
تقولُ دموعى عندَه وأقولُ ؟

(١) الآل : السراب .

وأسترجعُ العهدَ الهنيّ الذى مضى
ولم تُشْفَ منه لوعةٌ وغليلُ
وقالوا : تزوّجْ ربّما قرّ هائمٌ
وأقصرَ مفتونٌ وصحّ عليلُ
فأذعنتُ مأخوذاً وأقدمتُ ذاهلاً
وقلتُ : أيَرْدَى(1) مرّتين قتيلُ
حلفتُ بأحلامِ الشبابِ وقُدسِها
وَحُبِّيكِ يجرى فى دمى ويسيلُ
فلم أتّخذْها جارةً وهى جارةٌ (2)
وما ضمّنى خدرٌ لها ومَقيلُ
كعهدِكِ بى ما حُلْتُ عهداً ومَوْثِقاً
وَبَلْهَ الهوى إن الحديثَ طويلُ
لبنى : أَتَسْلَمُ من بغىِ الرجالِ ؟ وبغيُهم
أفانينُ تَصْلى نارَها وشُكُولُ (3)

(1) ردى يردى : هلك . (2) الجارة : الزوجة . (3) أنواع وضروب .

جنيتَ على ثنتين يا قيسُ ظالماً

وكلُّ ظَلومٍ مُحضَرٌ فَسولُ

تَنَكرتَ للأُولى وأشقيتَ أختَها

فذاكَ طِرازٌ فى الوفاءِ جميلُ

ولَمَّا أراد اللهُ بى الخيرَ ضمَّنى

إليه مَهيبٌ فى الرجالِ نبيلُ

وإن كُثَيْراً كابرٌ وابنُ كابرٍ

وأبلجُ فياضُ اليدينِ مُنيلُ

بَنَى بى وعرضى مُضْغَةٌ فى فم الدُّنَا

يجولُ الورى فى قُدْسه ويصولُ

فلم أرَ أصفى منه وُدّاً ورحمَةً

ولم أرَ أوْفى والوفاءُ قليلُ

قيس
فى حدة وتهدج

: حسبتُكِ يا لُبنى تقيلين عَثْرَتى

فإنَّ كريماتِ النساءِ تُقيلُ

وقد كان كلّ الظنّ أن مدامعي

لهنّ وآلامي إليكِ سبيلُ

سأرحلُ يا لبنى فإن غِشاوةً

على القلبِ كادتْ تنْجلي وتزولُ

سأرحلُ يا لبنى إلى غيرِ رَجْعةٍ

إليكِ فإنّي للمَلولِ مَلولُ

(يندفع محنقاً ليخرج فيدركه ابن أبي عتيق في آخر المسرح)

المجنون : لُبنَى تفجّرْتِ عُنفاً

لبنى : وددْتُ لو كنتُ أعنَفْ

لو كنتَ تعلم ما بي نَسَبْتَ لي حِلمَ أحنفْ(1)

أنا لو سُقتُ له القولَ نِصالاً وأَسنّهْ

لم أُرِحْ صدرِي من الغيظِ الذي كانَ أجنّهْ

ابن أبي عتيق لقيس: اصْطنعْ يا قيسُ صبراً إنني أعرفهُنّهْ

إنّ للنّسوةِ جهلاً وهوًى يملِكهُنّهْ

(1) الأحنف بن قيس ، ويضرب به المثل في الحلم .

خلقٌ رُكِّبَ فيهنَّ فوآتى طبعهنَّـــــــه
خَفقةُ النارِ إذا النا رُ خبت ثورتهنـــــــه
لا تُرِع ممّـــــا تراه وتنظّر رشدهنـــــــه
طابَعُ النسوةِ فاعلمْ يتمنعن وهنـــــــه

(يدخل كثير بن الصلت بعد أن يكون الجميع قد عادوا إلى مجالسهم الأولى . يقفون لاستقباله)

كثير : أهـلاً بأضيافى كرامِ العُربِ
من كلِّ شهمٍ مُفضِلٍ ونَدْبِ
عرفتُ ماكانَ من ابن وهبِ
لُبنى ألا عرِّفتِنى بالصحْبِ ؟

لبنى : هذا أبو المهدىِّ قيسُ عامرِ

كثير : أهـلاً بهِ من سيِّدٍ وكابرِ
وشـاعرٍ يَبرعُ (١) كلَّ شاعرِ

لبنى : وذَا زيادُ

كثير : رحِّبي وحيِّـــــــهِ
صاحبُ قيس وأمينُ وحْيِهِ

(١) يبرع : يفضل .

لبنى : كثيرٌ هذا ابنُ أبي عتيقِ

كثير : فرحباً بعِترَةِ الصِّدِّيقِ (١)

القُرَشِيِّ الأبلجِ العريقِ

أهلاً بِتِرْبِ الحسنَيْنِ أهلا

هبطتَ رحْباً ونزلت سَهْلا

لبنى (في خجل وتردد) : وذاكَ . .

كثير (في تحفظ) : قيسُ بنُ ذَريحٍ لا جدَلْ

نَمَّ عليه البُهْرُ (٢) منكِ والخجلْ

أهلا بفخرِ ليثِ ابنِ بكرِ

مُطعمةِ السائلِ والمُعْتَرِّ (٣)

وجُنَّةِ الخائفِ والمضطرِّ

(ثم يقول مخاطباً لبنى)

لُبنى أعدِّى غيرَ صاغرةٍ للقوم ما هيَّأتِ من زادِ

إنْ تُكرمى لُبنى وِفادتَهم فجَوَّادةٌ من بيتِ أجوادِ

---

(١) إشارة لجده أبي بكر الصديق (٢) البهر : تتابع النفس من الاعياء (٣) الفقير الذى لايسأل .

(تدخل لبنى إحدى الخيام ويدخل معها كثير ويصيح من داخل الخباء)

انحـــروا للكرام بُدْناً وجُزْراً(١)

شَرُفَ الحىُّ بالضيوفِ الكرامِ

(يأخذ قيس صديقيه المجنون وابن أبى عتيق إلى ناحية من المسرح فى صورة من سيحدثهما فى أمر خطير)

قيس : عتيقُ هـذى فُرصةٌ تُنقِـذُنا لو تُغتنمْ

هيَّأها اللهُ لنـا واللهُ فيَّاضُ الكرمْ

هلَّا تحـــدَّثتمْ له فى عارضٍ من الكَلِمْ

قد تقعُ المعجزةُ الـــكُبرى إذا اللهُ قسمْ

يا رُبَّ شملٍ بَدَدٍ(٢) عادَ فَضُمَّ فالتأمْ

ابن أبى عتيق : لم تَعْدُ ما خالجنى يا قيسُ فلنعرضْ لَهُ

المجنون : تُرى أيلْـقِى سَمْعَـــهُ لِقولِنـا . . .

قيس : لَعَلَّهُ

بل قد نفوزُ بالمُنى إذا هـززتم نُبلَهُ

فأبعَدَ العـــزةَ بالإثمِ وأدنى عقلَهُ

(ثم يقول لزياد فى ناحية)

---

(١) البدن : النياق ، والجزر : الخراف ، وواحدها جزور كرسول . (٢) مبدد : متفرق .

ساعةُ الفصلِ هذه بين موتٍ وحياةٍ فما أُطيقُ بقاءَ
أَدعُني يا زيادُ . ذاك مكانى إن رأيتَ الأمورَ تجرى رُخاءَ

(يخرج قيس ويدخل كثير)

كثير : زادت بكم طولاً(١) على طولها أهلَ النّدى والفضلِ أرباعى
من كل ذى سَرْوٍ(٢) وذى محتدٍ مُحتفل للمجد نَزّاعِ

المجنون : كثيرُ هذا مجلسٌ ضمّنا قدرٌ لم يدعُ له داعِ
عنايةُ اللهِ التى لم تزلْ تنتظمُ القاعدَ والساعى

ابن أبى عتيق : ما سقتَ إلا خاطراً عَنَّ لى فلنمضِ بالأمر لأهدافِهِ
إن الذى جمّعنا قادرٌ أن يُرجعَ الإلف لألاّفهِ

كثير : أكادُ لا أفهمُ ما قلتُما لكننى لم أعْىَ عن حَدْسِهِ
إذا مقالُ المرءِ لم يُنجِهِ فالخيرُ كلُّ الخيرِ فى حبسِهِ

المجنون : بل أفضلُ الخلقِ فتىً مُفضلٌ أكملَ أُنسَ الخلقِ من أُنْسِهِ
وأكرمُ الناسِ على ربّهِ من آثر الناسَ على نفسِهِ

ابن أبى عتيق : كُثَيْرُ هذا ابنُ ذَريحٍ فهل تَعرفُ ما يلقاه من دهرِهِ

(١) الطول : الفضل والسعة . (٢) السرو : الشرف والمجد .

فى وحشةٍ يحيى وفى ظُلمةٍ   حياةَ مغلوبٍ على أمرِهِ
قد غَصَّ بالسائغِ من عيشهِ   وضاق بالمبسوطِ من عمُرِهِ
ما زال يصبو لِمُنى نفسه   حتى رآها فى يدىْ غيرِهِ

كثير : ماذا ترانى فاعلا يا أخى   أراكَ تُلقى القولَ لم تدْرِهِ
أخافُ والضيفُ له حرمةٌ   أن يَخرجَ الصابرُ عن صبرِهِ

المجنون : أرى فى وجهك الغيظَ   فقد لاحت بوادرُهُ
حسبتك تَفْهَمُ القلبَ   وتدرى ما مشاعرُهُ
وترعى حُرْمَةَ الحبِّ   إذا عفَّت سرائرُهُ
ألا تألَمُ للروضِ   إذا جفَّت أزاهرُهُ !
ألا تبكى مع البانِ   إذا خلَّاهُ طائرُهُ !
ألا تحزنُ للربع   هوى واندكَّ عامرُهُ !
ألا تأسَى على الأنسِ   عفا وانفضَّ سامرُهُ !

ابن أبى عتيق : كُثَيرُ فاسمع حُجَّةً   وفَاتِنى (١) فى قَدْرِها

---

(١) فاتاه : ناقشه .

لبنى لديك لم تَزِدْ عن زوجةٍ كغيرِها
أمّا لقيسٍ بنِ ذَريحٍ فالدُّنا بأسرِهــــا
هي الحياةُ عنـــده بقُدسِها وسحـــرِها
وجنّةٌ بزهرِها وخَمْرِها ونَهْـــرِها

المجنون : نطلب عَدْلَ العقلِ والـــرحمةَ من مقـــرِّها
فاجنحْ إليهما تَفُـــزْ بشـــكره وشكرِها

كثير : تحدثتَ عن قيسٍ فكنتَ سفيرَه
وخَـــيرُ سفيرٍ للصديق صديقُ
فعمّيْتَ أحيـاناً وأفصَحْتَ تارةً
ومثلُكَ بالقولِ السرّيِّ خليقُ
تحدّثْتَ عن لُبنى . ألُبنى عَليمةٌ
بما جئتَ تَرويه لنـا وتَسوقُ ؟

المجنون : حلفتُ بليلى ياكثيرُ ودونَهـــا
تهائمُ ما إن تنقضي ونُجودُ (١)

---

(١) جمع تهامة ونجد ، والمراد بلاد كثيرة .

وفى مهجتى منها هوًى متفاقمٌ

قديمٌ بأحنــاءِ الضلوع جديدُ

وفى عنقى عهــدٌ حملتُ وموثقٌ

تميدُ رُبى رَضْوى (1) وليس يميدُ

فما جَحَدت لُبنى نعيما أفضتَــه

عليها ، وفى بعضِ النساءِ جُحودُ

وما نطقتْ إلا ثنــاءً ولم تزلْ

بفضلِك من بين الأنامِ تُشيدُ

وتذكُر ما أوليْتَها من رعايةٍ

وعُرْفٍ فتزجى شــكرَها وتُعيدُ

كثير : لئن كان حقاً ماتقولُ فإنما

شَفَيتَ إذنْ نفسى وروّحتَ عن صدرى

فلمْ تر لُبنى غيرَ ودّى ورحمتى

وما عَرَفت لُبنى جفائى ولا عُسْرى

(1) رضوى : جبل بالمدينة المنورة .

المجنون : كثيرُ فإنى أفْقَهُ النـاس فى الهوى
أحاطَ به علمى وذلَّلَهُ خُبْرى
فإن تكُ لُبنى آثرَتْكَ بما ترى
من الودِّ والمعروفِ والحمد والشكرِ
فإنَّ هواها فى فتىً من كِنانةٍ
أصابت به خُلْدَ الأحاديثِ والذكرِ
نَما بين أعطافِ السَّنَى من أُبوَّةٍ
يَفيضُ عليها العِتْقُ[1] من سالفِ الدهرِ
هواها بقيسٍ لم يزلْ أوَّلَ الهوى
وآخرَه رغمَ القطيعةِ والهجرِ
أُعيذك أن ترضى لنفسك منزلا
تَراوَحَ بين الحقِّ والظلمِ والكِبْرِ
وحاشاك من جهلِ المُدِلِّ بإثمه
نأى عامداً عن شِرْعةِ الخيرِ للشرِّ

(١) العتق : الشرف والمجد .

ابن أبي عتيق: كثيرٌ أتهواها ؟

كثير : فإنى أُجِلُّهـــا

وأُصْدُقها ودِّى وأعتَدُّها ذُخرى

وأُكبرُ آلاءً لهـا وخلائقاً

تَرِفُّ[1] رفيفَ الدُّرِّ فى نَسَق[2] الدُّرِ

وتملأُ بيتى أنعُماً وبشاشـــةً

وتطلُعُ فى أبهائه مطلعَ البـدرِ

وأُثْنى كما تُثْنى الرياضُ على الندى

أفاضَ على أكمامِها قُبَلَ الفجرِ

ابن أبي عتيق: كثيرُ تخيَّرْها فإن كنتَ فاعلاً

تَخَفَّفْتَ من عبءِ الضميرِ مدى الدهرِ

كثير : رأيتَ صواباً يا عتيقُ فإننى

حزمتُ على ما قد عزمتَ به أمرى

فوالله ما آبى لِلُبنى هنـــاءةً

وإن نشدتْها فى ظلالِ فتًى غيرى

(١) ترف : تضىء . (٢) النسق : العقد .

المجنون : كثيرُ أتدعوها ؟

كثير : لُبْنَى فأقبــــلى
بصوت مرتفع

تعـــالىْ

لبنى : أنادى سـيِّدى فدعانى
فى اضطراب

(تخرج لبنى اليهم)

كثير : دعوتك لِلجُـــلَّى

لبنى : كأنِّى عرفتُهـــا
فى اضطراب أشد

فما كان بالنائى البعيدِ مكانى

كثير : فديتُكِ قد أسْقطتِ عنى مؤونَةً

من القولِ ما أسطيعُها بلسانى

وأخرجتِنى من مأْزقٍ ما أُطيقه

تَخاذَلَ صبرى عندَهُ وجَنانى

لُبْنى خذى فى الأمرِ لا تضْعفى به

لبنى : فمالى بهـــذا ياكثيرُ يدانِ
باكية

كثير : أتبكينَ يا لبنى ؟

لبنى : بكائى ضراعةٌ

إلى الله يَهْدِى حَيْرَتى ويرانى
رمتنى صروفُ الدهر فيمن حسِبْتُه
نعيمى من الدنيا فكانَ هوانى
وأقسمَ يرعى الودَّ والعهدَ جَهْدَهُ
فلمّا احتوانى فى يديه رمانى
وعاطَيْتُه صِرْفاً من الحبِّ والوفا
فجرّعنى همَّ الدُّنا وسقانى
وأشفَيْتُ(١) حتى هيَّأ اللهُ لى فتًى
شفى جُرحَ نفسى مُحسناً وشفانى
وأنزلنى فى أهلهِ خيرَ مُنْزَلٍ
ووطّأَ لى معروفَه ورعانى
فكيف أُجازيه كُنوداً وبِغْضةً
إذنْ هانَ بين الفُضْليات مكانى

(١) أشفى : أشرف على الهلاك .

لكَ اللهُ يا نفسي فأيةُ ثوْرةٍ

ضروسٍ وحربٍ قد ضَمِنْتِ عَوانِ

تَنَازَعَنِي وَحْيانِ : هذا إلى الهوى

دعاني ، وهـذا للوفاءِ هـــــداني

أُحِسُّهما في مهجتي وأضالعي

يرومان إقناعي فيقتتـــــــلانِ

فوا خَجلي ما زال قلبي بإِلفِـهِ

وإن صدَّ عنه دائمَ الخفقانِ

كثيرُ ، ترقَّبْ أن يَفِيءَ لرُشدِهِ

فقد طالما جاهدتُه فعصاني

كثير : في حدة وألم

سأصدعُ بالأمرِ الذي تُؤْثرينه

كفانيَ لُبنى ما لَقِيتُ ، كفاني

قد اخترتِ ، ما في ذاكَ شكٌّ لمُنصفٍ

لكلِّ كلامٍ مقصدٌ ومعاني

هو القيدُ قد حطَّمتُهُ عنكِ فانعمى
وإن كنتُ ماحطَّمْتُ غيرَ كِيانى
جرحتِ إبائى واستَهْنتِ بحُرمتى
وألبستنى فى البيد ثوبَ هوانِ
فبِينى[1] وبِينى ثم بِينى ثلاثةً
أليَّـــةَ[2] مقروحِ الُحشاشةِ[3] عانِ
فربَّ مُنى نفسٍ بلغتِ، وراحـةٍ
أصبتِ، وعيشٍ مُونقٍ وأمانِ
(يخرج كثير مغضباً ويدخل قيس بعد أن يكون قد خرج زياد لاستدعائه)

قيـس : لُبَيْنى أحقٌّ ما أرى؟ أم هى المُنى
تُصوِّرُ لى والوهمُ هذى المرائيا؟!
فهل رجَعَتْ أيامُنا تحملُ الهوى
إلينا كما كانتْ وتُزْجى الأمانيا؟

(١) صيغة من صيغ الطلاق التى كانت معروفة عند العرب (٢) الألية : اليمين (٣) الحشاشة : النفس

صَبَرْتُ على الأحداثِ حتى تَكَشَّفَتْ
وإن خلَّفتني مُوهِنَ العظمِ فانيا
وعضتْنِيَ الأيامُ بالبثِّ والضَّنَى
فطالعتُهـــا جلْداً ، وذُبتُ اللياليا
لبيْنِي وأنتِ العمْرَ وِرْدِي ومشرعي
أترضَيْنَ أن أنفَضَّ ظَمْآنَ صاديا؟
لبني في إشفاق : لك اللهُ من رامٍ أُصيبَ بما رمى
ومُضْرِمِ نارٍ بات للنارِ صاليا
وجانٍ على نفسين ، نفسُك منهما
فيا لكَ مجنيًّا عليه وجانيـــا
ونافذةٍ (١) سدَّدْتَ ياقيسُ سهمَها
رماني بهـا المِقـدارُ ثم بكى ليـا

(١) المراد بها طعنة نافذة .

وفارقنى الأحبابُ فى رَيِّقِ الصِّبا

فلما توافَوْا لم أجِدْ فيه باقيا

قيس : بنفسى وأهلى أنتِ ، هل فيضُ رحمةٍ

كثاقبِ ضَوْءِ الصبحِ يجلو ظلاميا

أمَا آنَ أنْ يَصْغَى(١) أليفٌ لإلفِـهِ

فقـد طالمـا ناجاهُ هَيْمانَ باكيا

ترى أُلاقيـــه غَضوباً ؟

لبنى : لعـــلّهُ
مبتسمة

مُلاقيه مبسوطَ الذراعينِ حانيـــا

نَسِـينا وأعتبْنا(٢) مُنى النفسِ ، فالتمسْ

لقلبىَ من صافى ودادِك آسيا

عَفَا اللهُ عما فات ياقيسُ فاطْوِهِ

ولا تَذْكُرَنْ إلا الهوى والأمانيا

(١) صغى : مال واستمع . (٢) أعتبنا : رضينا .

قيس : لُبْنى بُعِثْنا اليومَ فَلْنَنْهَبِ[1] الدُّنا

مِراحاً ووجداً ثائرَ الوقْدِ ضاريا

فقد أشرق الدهرُ الذى كان داجياً

وقد أورق العمرُ الذى كان ذاويا

(وقد يَجمعُ اللهُ الشتيتين بعدما

يظنَّان كلَّ الظنِّ ألاَّ تلاقيا)

ستار الختام

---

(١) فلننهب : فلنغنم .

شركة فن الطباعة
صندوق بوستة ٤ شبرا مصر - تليفون ٥٨١٤٩

شركة فن الطباعة
صندوق بوستة ٤ شبرا مصر - تليفون ٥٨١٤٩

